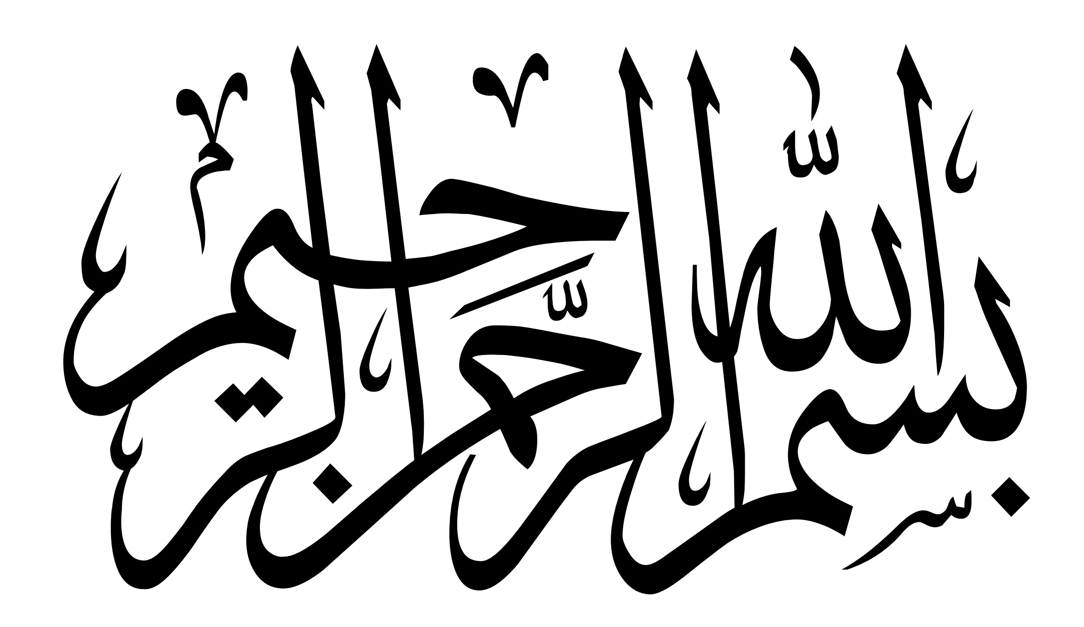
دلالة المعجزة القرآنية

دلالة المعجزة القرآنية

د/إحسان عبد الغفار مرزا


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث :
يتحدث هذا البحث عن تعريف المعجزة لغة واصطلاحا ويثبت بلأدلة صحة وقوع المعجزة و

، ويرد على المنكرين لوقوعها مبينا وجه دلالتها عند أهم الفرق الكلامية .

كما يثبت البحث رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم من خلال بيان بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم مبينا أن القرآن الكريم هو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم التى يستدل بها على رسالته عليه الصلاة والسلام .

وفى ختام البحث توصل الباحث الى عدة نتائج منها ما يلى :

١) زيادة اليقين بقدرة الله تعالى ، وعلمه بكل شيء .

٢) وبالتالي زيادة الإيمان ، وعلو الإحسان ، إلى ذي الفضل والامتنان

٣) الولاء التام للمؤمنين .

٤) إخلاص المحبة لرسول الله ﷺ ، وحب ما جاء به .

الكلمات الدالة (دلالة ، المعجزة ، القرآنية)

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علينا نعمه مدرارًا ، وأغدق علينا فضله ليلاً ونهارًا، وجعل للمؤمن بروعة الإيمان نورًا ووقارًا، وأكرمنا بأفضل خلقه دعانا سرًا وجهارًا ، فصلى الله على خير البرية، من كمل الدين على يديه وهدى الحيارى ، والصلاة والسلام على صحبه ، ومن حمل الدعوة ونشر الهدى فكان طيبًا مبرارًا .

وبعد ...

يقول ـ تعالى ـ: ﭽ ﮱ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﭼ [الإسراء:٨٢] .

إنَّ حكمة الله البالغة، ورحمته الواسعة اقتضت أن يكرم العباد برسل يبشرونهم وينذرونهم : ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [النساء:١٦٥] .

فكان ولا زال مبعث الرسل انطلاق النور والهدى في حياتها البشرية، ولما لهذا الأمر من تحول تغييري ومنطلق عقدي ، فقد أيدهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بدلائل تثبت إخلاصهم ، وبراهين وآيات تثبت صدقهم وبراءتهم من كل كذب ، ولهذا كله فلقد تم اختيار الفقيرة إلى ربها المتلهفة إلى عفوه ورحمته على هذا الموضوع ، فكان هذا البحث عن آية صدق النبي ﷺ (المعجزة)، متطرقة في ذلك إلى المعجزة الخالدة العظيمة الإسلامية القرآن الكريم ، فهو دستور الحياة وشرعتها التي تتجلى في كل ناحية من نواحي حياتنا ، بل في كل نبضة من نبضاتنا ، وهو مصدر العز والفخر والغلبة والقوة.

شهد العدو بعزتي وتمنعي   لا أرهب الدنيا وقرآني معي

وفي هذا البحث ، تحريت أن أكتب عن آراء المتكلمين والفلاسفة من مصادرهم الأصلية بقدر المستطاع ، وما كان مشروحًا من قبلي أضعه بين قوسين ( ) .

ولقد وجدت أن الموضوع متشعب كبير، فاقتصرت فيه على ما يخص بحثي، وعلى ما استطعت الحصول عليه من جهد المقل المعترف بتقصيره ، والله أسأل أن يتقبل القليل ويعفو عن الكثير ، ويعيننا على استدراك ما فاتنا، فهو نعم المولى ونعم النصير .

وقد قسمت هذا البحث المنهجي إلى ثلاثة فصول كل منها مرتبط بموضوع الرسالة وبما قبلها ارتباطًا وثيقًا.

ففي الفصل الأول تكلمت عن إثبات النبوة والرسالة من خلال تعريف المعجزة وشروطها وما يختص بها، والفصل الثاني عن إمكانها ودلالتها، والفصل الثالث عن إثبات رسالة النبي ﷺ بالمعجزة الخالدة (القرآن) .

وقد قسم كل فصل إلى مباحث، وهو موضح بالفهرس .

وختامًا .. فهذا جهد المقل المعترف بالتقصير وهذا طبع في البشر، والكمال لخالق الخلق ورازقهم ، وأتمنى ممن يجد الخطأ في هذا البحث تنبيهي إلى ذلك، وله منا حسن الثناء والدعاء .

والله أسأل أن يمتعنا بلذة طاعته والعمل على مرضاته، وأن يبلغنا رضاه ، ويعفو عن تقصيرنا وزلاتنا ، وينفعنا بما علمنا وعملنا ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ..

الفصل الأول

المعجزة إمكانها ودلالتها

أولاً: تعريفها .

(أ) لغة :

العجز والمعجز والمعجزة : الضعف ، والتعجيز : التثبيط، والنسبة إلى العجز .

ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة [١] .

وفي الصحاح : العجْزُ : الضعف ، تقول: عجزت عن كذا بالكسر عجزًا ، ومَعْجِزة ومَعْجَزَة ومَعْجِزًا ومَعْجزًا بالفتح أيضًا على القياس .

والمعجزة : واحد معجزات الأنبياء ، وأعجز الشيء أي فاته ، عَاجَز فلانًا إذا ذهب فلم يصل إليه [٢]، وهو في الحقيقة اسم فاعل مأخوذ من العجز وهو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من رأى أو تدبير[٣] .

يقول . تعالى .: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼ[سبأ :٥] أي مسابقين .

قال الشوكاني : أي سعوا في إبطال آياتنا المنزلة على الرسل وقدحوا فيها وصدوا الناس عنها ، ومعنى(معاجزين) مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا ولا يدركون ذلك باعتقادهم أنهم لا يبعثون ، يقال عاجزه أو أعجزه إذا غالبه وسبقه ، وقرأ الجمهور (معاجزين) ، وقرأ ابن كثير وغيره (معجزين) أي مثبطين للناس عن الإيمان بالآيات[٤] .

(ب) في اصطلاح العلماء :

١- قال السيوطي[٥] : المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة [٦] .

٢- وقال الفخر الرازي[٧]: المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة [٨].

٣- ويعرفها ابن حمدان [٩] الحنبلي بأنها: خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها من جهة التحدي ابتداءً، بحيث لا يقدر أحد على مثلها ولا على ما يقاربها [١٠] .

---

[١] الفيروز آبادي : القاموس المحيط ١٨١/٢ بتصرف ، دون تاريخ .

[٢] بنظر : الصحاح للجوهري ، ٨٨٣/٣ ، ٨٨٤ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين .

[٣] ينظر : الرسل والرسالات ، د. عمر سليمان الأشقر ، ١٢١ ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، مكتبة الفلاح – الكويت .

[٤] ينظر : فتح القدير للشوكاني ، ٣١٣/٤ ، بدون تاريخ ، دار المعرفة للطباعة والنشر .

[٥] السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري جلال السيوطي ، له نحو ٦٠٠ مصنف ، منها الكتاب الكبير، الرسالة الصغيرة ، نشأ في القاهرة يتيمًا (ولد عام ٨٤٩هـ، وتوفي ٩١١هـ) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف كتبه، ومنها همع الهوامع في النحو، والمستطرف من أخبار الجواري ، وغيرها كثير ، انظر الأعلام للزركلي (٧١/٤) .

[٦] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ١٤٨/٢ .

[٧] فخر الدين الرازي : محمد بن عمر بن الحسين العلامة فريد عصره ، أبو عبد الله من علماء الأشاعرة ، ولد سنة ٥٤٤هـ واشتغل على والده ضياء الدين ، كان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذٍ فقهاء وغيرهم ، وكان ينال من الكرامية وينالون منه ، من كتبه : تفسير الملل والنحل، والقضاء والقدر، وعصمة الأنبياء ، تعجيز الفلاسفة، والحقائق الإلهية ... وغيرها (ينظر الوافي بالوفيات للصفدى (٢٤٨/٤) ، الطبعة الثانية ، دار النشر فرانزاشنا يزبفبسادن ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) .

[٨] د. حسن ضياء الدين عتر ، بينات المعجزة الخالدة ، ١٩ ، دار النصر سوريا ، حلب .

[٩] ابن حمدان : أحمد بن حمدان بن شيب بن حمدان النميري الحراني ، أبو عبد الله ، فقيه حنبلي أديب ، ولد ونشأ بحران عام ٦٠٣هـ ورحل إلى طلب العلم في حلب ودمشق ، ولي القضاء بالقاهرة ، توفي بها عام ٩٦٥هـ ، من كتبه الرعاية الكبرى والصغرى في الفقه وصفة المفتي والستفتى ، ومقدمة في أصول الدين مع الفنون وسلة المحزون .. وغيرها .

[١٠] د. عمر سليمان الأشقر ، الرسل والرسالات ١٢١ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

المبحث الأول : إمكان المعجزة وصحة وقوعها

- لا دليل على استحالتها . بل هي ممكنة :

وبعد أن بينا في الفصل الأول ما يخص المعجزة من تعريف وشروط وخصائص، وميزنا بينها وبين غيرها من خوارق العادات ، نبحث في الفصل الثاني عن إمكان المعجزة ، وصحة وقوعها .

فابتداء نقول: إن معجزات الأنبياء وآياتهم ثابتة بالتواتر القطعي ، وقد شاهدها جمع غفير كما حكي بذلك القرآن ، خذ مثلاً رسالة سيدنا محمد ﷺ : فلقد تواتر إلينا أن نبينا محمدًا ﷺ ادعى أنه رسول الله إلى أمة ، وجاءت بذلك كتب التاريخ سواء ألفها المؤرخون المؤمنون برسالته ، أو المنكرون لرسالته ، فلا مجال لعاقل أن ينكر ذلك ، كما تواتر إلينا أنه قد ظهرت على يديه آيات وبراهين تدل على صدقه ، وأولها القرآن الكريم ، الكتاب الذي أنزل على النبي عليه الصلاة والسلام ، وتحدى به بلغاء العرب وفصحائهم ، فلم يفلحوا في معارضتهم" .

فبما أنها منقولة إلينا قطعيًا ولا شك في هذا، فهي ممكنة حاصلة واقعة للأنبياء وغيرهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مخبرًا عن بعض من استبعد النبوة وبالتالي المعجزات : " فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة فاستبعدوا، وذلك عين الجهل. إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه – أي لم يحصل له ولا أمامه – فظن أنه غير موجود في نفسه ، والأكمه لو لم يعلم بالتواتر و التسامع بالألوان والأشكال وحكي له ابتداء لم يفهمها ولم يقربها .

وقد قرب الله منها ذلك إلى خلقه بأن أعطاهم نموذجًا من خاصة النبوة وهو النائم. إذ النائم لم يدرك ما سيكون في الغيب ، إما صريحًا ، وإما في كوة مثال ويكشف عنه التعبير "(١) .

فيخبر ابن تيمية أن مستند ذلك لا بد أن يكون تواترًا سمعيًّا، نقليًّا قطعيًّا ، إن كان هذا ما يختص بالنبوة أو المعجزات ففي إثبات النبوة يقول : " ودليل إمكانها وجودها ، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل ، كعلم الطب والنجوم ، فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله ولا سبيل بالتجربة ، فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا في كل ألف سنة مرة، فكيف ينال ذلك التجربة ، ومن ثم تبين وجود طريق لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل، وهو المراد بالنبوة " (٢) .

ثم يقول : "فأما معجزات الأنبياء فلا سبيل إليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلاً"(٣).

وعلى هذا فلا يمتنع وقوعها؛ إذ هي غير مستحيلة ، فكما أن النبوة ثابتة بالتواتر القطعي ، يثبت ما يؤيد هذه النبوة " قال أهل الحق : قام الدليل على أن الرب ـ تعالى ـ خالق الخلق ومالكهم ، ومن له الأمر والخلق له أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي ، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه فيبلغ عنه إليهم فإن من له الخلق والإبداع له الاختيار والاصطفاء "، ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [القصص:٦٨] فلا استحالة في هذا المراتب ولا استحالة في نفس الدعوى"(٤) .

ويترجح هاهنا الصدق على الكذب بمرجحات منها : "اقتران المعجزة بدعوى النبي نازل منزلة التصديق بالقول ، وذلك أنه متى عُرف من سنة الله ـ تعالى ـ أنه لا يظهر أمرًا خارقًا للعادة على يدي من يدعي الرسالة عند وقت التحدي والاستدعاء إلا تصديقه فيما يجري به، واجتماع هذه الأركان انتهض قرينة قطعية دالة على صدق المدعي ، فكأن

---

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ، ١١٣، دون تاريخ، دار الكتب الحديثة ، الجمهورية .
(٢) السابق ذاته ، ١١٤ .
(٣) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ، ١١٤ .
(٤) أبو الفتح الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام ، ٤٢٠، ٤٢١،دون تاريخ ،جيوم/مكتبة المثنى ، بغداد .

المعجزة بالفعل كالتصديق شفاهة بالقول"[١] .

وهذا الأمر المسلم به وهو إمكانه معلومًا للشاهد والغائب " فالذين شاهدوا معجزات الأنبياء عند ظهورها عليهم يعرفون أن وجه الإعجاز فيها يعجز الخصوم عن معارضتها ، وأما الذين غالبوا عنها فيعرفون وجودها بالتواتر ولم ينقل إليهم معارضة لها ، وقد علموا أنها معجزة في وقتها وهي دلالة صدق على من ظهرت عليه ، وإنما يخالف في هذا من ينكر وقوع العلم من جهة الأخبار المتواترة، وقد يصدق بعضهم بوقوع العلم بالبلدان والأمم الماضية من جهة التواتر، ولا يصدقون معجزات الأنبياء المتواترة، ومن أنكر ذلك توجه الإلزام عليه بإنكار البلدان التي يدخلها الناس مع تواتر الأخبار عنها ، وهذا لا محيص له منه" [٢].

يقول أحد الكتاب نقلاً عن صاحب كتاب (معالم الفلسفة الإسلامية)[٣] : "ومهما يكن فإن من الخوارق التي جاءت على أيدي الرسل أنها قد نقلت إلى الأجيال بالتواتر ، وعرفنا بها كما عرفنا وجود أفلاطون وأرسطو" .

بدليل قوله . تعالى .: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [الشعراء:٦٣] .

وقد قرأ صاحب الكتاب مقالاً في جريدة الجمهورية المصرية عدد ١٩٥٧/١٢/١٣م أن كتابًا في علوم الطبيعة صدر وأثبت بالأرقام واقعة انشقاق البحر ، ثم يقول : "إن المعجزة التي تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده ، ولقد تمت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر ، وتابعه فرعون بجيوشه، وانشق البحر فمر موسى ومن معه بسلام ، ثم اتبعه فرعون وجنوده فعاد البحر إلى سيرته الأولى ، وقال : والذي يطلع على ما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الأرواح أو عجائب استحضار ، وغرائب التنويم المغناطيسي وما إلى ذلك ، يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور ممكنة " [٤] .

فإذا كانت هذه الخوارق ممكنة في كتابات العلماء والمحدثين كما ذكر في بالنا، وقد أخبر عنها العلى الحكيم في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعجزة على هذا ممكنة "ليست من نوع المستحيل عقلاً"، فإن مخالفة السير الطبعي المعروف في الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته، وغاية ما في الأمر أننا لا نعرفها (أي النواميس الخاصة بخوارق العادات)، ولكنا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده" [٥].

ويرد عضد الدين الإيجي في مواقفه على من أنكر المعجزة أو خرق العادة، وسنعرض الشبهة وردوده عليها فيما يلي:

"من قال بامتناع لامعجزة وأنها تثبت النبوة أصلاً لأن تجويز خرق العادة سفسطة، ولو جوزناه أو أجزناه لا نقلب الجبل ذهبًا وماء البحر دهنًا وغير ذلك" [٦].

فرد عليهم بقوله: "والجواب أن خرق العادات ليس أعجب من أول خلق السماوات والأرض وما بينهما ومن إعدامها الذي نقول نحن به والجزم بعدم وقوع بعضها ، كما في الأمثلة المذكورة لا ينافي إمكانها في نفسها ، وذلك كما في المحسوسات فإنا نجزم بأن حصول الجسم المعين في الحيز المعين لا يمتنع فرض عدمه بدله مع الجزم به جزمًا

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ينظر أصول الدين لأبي منصور البغدادي ،١٤٢٩هـ،١٧٩،١٨٠- الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ،١٩٨١م،دار الكتب العلمية- بيروت .

(٣) لمحمد جواد مغنية .

(٤) انظر عقيدة المسلم وما يتصل بها لعبد الحميد السائح،٢٢٢،٢٢٤،الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ،١٩٧١م،مطبعة وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، عمان .

(٥) ينظر رسالة التوحيد لمحمد عبده،٩٨،الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ،١٩٧٦م ،دار إحياء العلوم،بيروت .

(٦) ينظر شرح المواقف للشريف الجرجاني، ١٨٦،دون تاريخ، دار الطباعة ، القاهرة .

مطابقًا للواقع ، والعادة أحد طرق العلم كالحس، فيجاز أن تجزم ذلك الجزم بشيء من جهة العادة مع إمكان نقيضه في نفسه ، ثم إن خرق العادة إعجازاً لنبي وكرامة حينئذ خرقاً للعادة بل أمرًا عاديًا"[1] .

فثبت من كل هذا أن المعجزة ممكنة ولا دليل على استحالتها ، ويشهد بذلك كل عاقل على مر العصور والأيام، فلقد شاهدها وأثبتها جمعٌ غفير من سائر أقطار الدنيا.

---

[1] ينظر المرجع السابق .

المبحث الثاني
وجه دلالة المعجزة

*** تمهيد :**

هذا مبحث هام تعددت فيه آراء المتكلمين وتشعبت ، وفي كل منهم اتجاه مختلف بحسب ما يراه و يعتقده ، وسنبين إن شاء الله ـ تعالى ـ هذا الاختلاف عند فرق ثلاث من فرق المتكلمين ، وآراءهم في وجه دلالة المعجزة على صدق النبي .

اتفقت جميع الآراء على أن المعجزة تدل على صدق من أتى بها أو من ظهرت على يديه، ولكنهم اختلفوا في وجه هذه الدلالة (هل تدل دلالة عادية : أي يجوز عقلاً تخلف المدلول عن الدليل ، فلو أتينا بالنار وأشعلنا الغاز أدى ذلك إلى إيقاد النار لتحقيق الشرط وانتفاء المانع ، فلا يوجد حائل لذلك الاشتعال)، وهذا معنى الدلالة العادية " أي كدلالة قرائن الأحوال على خجل الخاجل ، وخوف الخائف"[١] .

أم تدل على دلالة عقلية : ومعناها أنه لا يجوز أو غير ممكن عقلاً تخلف المدلول عن الدليل أي تخلف الصدق عنها، وسبب هذا الاختلاف في الدلالة العقلية والعادية – مسألة اختلفوا في الإجابة عليها ، وهي :

هل ظهور الآية أو المعجزة على يد الكاذب ممكن أم لا ؟!! .

وسنبين بعد هذا إن شاء الله ـ تعالى ـ كيف رد المتكلمون على هذا، وبعد ذلك أوضح رأيهم في وجه الدلالة .

١ – وجه دلالة المعجزة عند الأشاعرة :

من خلال ما سنوضح من أقوال الأشاعرة ، يتضح أن :

جمهور الأشاعرة قالوا:إن ظهور المعجز على يد المدعي للنبوة كذبًا ممكن عقلاً ،إذًا يجوز عقلاً على الله ـ تعالى ـ أن يظهر على يد من يدعي النبوة خارقًا للعادة –كما حدث لمسيلمة الكذاب – يكون معجزة له على حسب ما ادعاه ، وبناء على هذا كانت دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عادية ليست عقلية ، أي يجوز تخلف المدلول عن الدليل عقلاً عند الأشاعرة ، وبمعنى آخر إن العادة التي أجراها الله في خلقه أن يخلق العلم لدى المرسل إليهم بصدق الرسول عقب ظهوره على يده ، وبناءً على ذلك يمكن عقلاً تخلف الصدق عنه ، وإن كانت العادة قد جرت على عدم التخلف . واستثنت الأشاعرة ما يحصل من أشراط الساعة وما يقع عندها هي (خوارق للعادة)، ولا يدل هذا على صدق أي مُدّعٍ للنبوة " .

ونتعرض الآن إلى أقوالهم في ذلك ونها :

يقول الإيجي في بيان وجه دلالة المعجزة: " وهذه الدلالة ليست دلالة عقلية محضة كدلالة الفعل على وجود الفاعل ودلالة أحكامه وإتقانه على كونه عالماً بما صدر عنه ، فإن الأدلة العقلية ترتبط لنفسها بمدلولاتها ، ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها ، وليست المعجزة كذلك فإن خوارق العادات كانقطاع السماوات وانتثار الكواكب وتدكك الجبال يقع عند تعدم الدنيا وقيام الساعة ، ولا إرسال في ذلك الوقت " [٢] .

ثم تطرق في كلامه إلى الكرامات ودلالتها فقال : "وكذلك تظهر الكرامات على أيدي الأولياء من غير دلالة على

---

[١] عبد الفتاح بركة : شرح السنوسية الكبرى ، ٣٦٦ .
[٢] الشريف الجرجاني : شرح المواقف للإيجي ، ص ١٨٦، دون ، دار الطباعة ، القاهرة .

صدق النبي ، ولا دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبي فيدور[١] ، بل هي دلالة عادية " [٢] .

ومن كل هذا يتضح " أن إظهار المعجز على يد الكاذب، وإن كان ممكنًا عقلاً فمعلوم انتفاؤه عادة ، فلا تكون عقلية لتخلف الصدق في الكذب بل عادية" [٣].

ثم يضرب الإيجي مثالاً "لأن من قال أنا نبي ثم نتق الجبل وأوقفه على رؤوسهم، وقال إن كذبتموني وقع عليكم ، وإن صدقتموني انصرف عنكم ، فلما هموا بتصديقه بعد عنهم ، وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة أنه في دعواه، والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب " [٤] .

ثم يقول الجرجاني مع كونه ممكنًا عنه إمكانًا عقليًا لشمول قدرته ـ تعالى ـ للممكنات بأسرها: " فلو ادعى رجل بمشهد الجمع الغفير أنه رسول هذا الملك إليهم، ثم قال للملك: إن كنتُ صادقًا فخالف عادتك وقم من الموضع المعتاد لك من السرير واقعد بمكان لا تعتاده ففعل ، وكان ذلك نازلاً منزلة التصديق بصريح فعاله ، ولم يشك أحد في صدقه بقرينة الحال " [٥] .

هذا كله للشاهد ، أما الغائب فلم تقسه الأشاعرة على الشاهد؛ لأنه لا يبالي بالمصلحة والمفسدة فلا يصح القياس، ولكن ظهور المعجز يفيد علمًا بالصدق ، وهذه الإفادة معلومة لنا بالضرورة العادية .

ويؤكد أحد علمائهم هذه الدلالة فيقول : " إن ظهر على يد من يدعي النبوة من فعل الله ما يكون نقضًا للعادة، وكان الذي ظهر مطابقًا لدعواه ، وقد سبق العلم أن الله كان سامعًا لدعواه وعالمًا بها بذلك تصديقه في دعواه ، بمنزلة (قوله صدقت ، أو قوله لقوم صدق هو رسولي إليكم على وجه يفهم تصديقه له)، ويكون بهذا التصديق له بالفعل لا يحتمل إلا التصديق "[٦].

فيجعل التصديق بالفعل أبلغ من التصديق بالقول : "فإن أرسل إلى فلان رسوله وجعل أسرارًا بينهما ، أو يقول له الرسول ناولني خاتمك ليكون دليلاً آخذ به وديعتك ، فإذا ما سئل الرسول قدم الخاتم فعلم صدقه في دعواه ، وهذا الفعل أبلغ من القول " [٧] .

وبعد أن بينا رأي جمهور الأشاعرة في وجه دلالة المعجزة نبين أن هناك من شذ وخالف هذا الرأي من علماء الأشاعرة منهم الإمام الأشعري[٨] ومن تابعه كالباقلاني والشهرستاني وغيرهم .

قالوا إن مسألة ظهور الآية على يد الكاذب غير جائز عقلاً؛ لأن المعجزة لها دلالة قطعية على صدقه ، فلا يد لها من وجه دلالة؛ إذ به يتميز الصحيح من الكاذب ، وإن لم تعلم ذلك المعجز بعينه ، فإن دل المعجز المخلوق على يد الكاذب كان الكاذب لم تعلم وهو أمر محال ، وإلا انفكت الآية أو المعجزة عما يبدأ من دلالته القطعية على مدلوله ، وهذا يؤدي إلى ظهور الآية على يد الكاذب وهذا مستحيل عقلاً ، ويؤدي إلى التسوية بين الصادق والكاذب وهذا محال أيضًا" .

١- **يقول الشهرستاني** مقرراً ابتداء دلالة المعجزة على صدق النبوة: "ولما كانت دعوة سيد البشر محمد ﷺ

---

[١] أي يؤدي إلى الدور والدور ممتنع .
[٢] المرجع السابق .
[٣] المرجع السابق ، ١٨١،١٨٢.
[٤] المرجع السابق ،١٨٢ .
[٥] ينظر المرجع السابق ،١٨٢ .
[٦] ينظر أصول الدين للبغدادي ، ١٧٨،الطبعة الثالثة ،١٤٠١هـ ،١٩٨١م ، بيروت لبنان .
[٧] المرجع السابق، ص ١٧٨ .
[٨] الأشعري:أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وإليه تنسب الطائفة الأشعرية،

أكمل ، ورسالته أرفع وأجل ، كان يبتدئ تارة مع عبدة الأصنام بإثبات التوحيد ثم بالنبوة : ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [البقرة:٢١] . أثبت احتياجهم ضرورة إلى فاطر ، وشاركهم في ذلك من قبلهم: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [البقرة:٢١] ثم قرر بعد ذلك نبوته : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [البقرة:٢٣][١] . معناها دالة على التوحيد ، وبظاهر لفظها البليغ ونظمها الأنيق دالة على صدق دعواه وتحديه"[٢] .

ثم يقول موضحًا هذه الدلالة ، والتي وافق فيها الأشعري :

"وجه دلالة المعجزة وبالجملة التجويزية الخيالية والوهمية ، مدفوعة بالدلائل العقلية ، والقرائن العقلية ، وقد قررنا أن المعجزة ذات دلالة عقلية وهو اختصاصها بتحدي المدعي، واقتضاء الاختصاص قصدًا إلى التخصيص، وجواز حصول مثل ذلك في قطر من الأقطار، أو في وقت من الأوقات، لا تخرج الدلالة عن كونها دالة؛ لأنه لم يوجد اقتران يدل على الاختصاص ، واختصاص يدل على قصد التصديق .

والمعجزة أيضًا ذات دلالة من حيث القرينة وجواز حصول مثله لا يرفع دلالة القرينة ، كمن عرف قطعًا بحكم قرينة اطِّراد العادة أن ماء الفرات لم ينقلب دمًا عبيطًا وهو جار جريانه في الأول ، مع أنه يجوز عقلاً أو وهمًا بقدرة الله ـ تعالى ـ أنه يقلبه دمًا جاريًا أو يوقف النهر عن الجريان "[٣] .

ثم من خلال هذا التجويز يرد على من قال بالدلالة العادية في وجه دلالة المعجزة ويبطل ما استدلوا به، فقال :

" وهذا التجويز لا يدفع العلم الضروري ، وكذلك يجوز عقلاً أن تكون الصفرة في الوجه غير دالة على الوجل ، لكنها إذا اقترنت بها حال وسبب للوجل علم ضرورة أنها صفرة الوجل لا صفرة المرض "[٤] .

٢- ويقول شارح السنوسية الكبرى :

"إن دلالتها عقلية، وإليه مال الأستاذ[٥]، قالوا: لأن خلق الله ـ تعالى ـ لهذا الخارق وفق دعواه وتحديه، مع العجز عن معارضته، وتخصيصه بذلك ، يدل على إرادة الله ـ تعالى ـ لتصديقه ، كما يدل على اختصاص الفعل بالوقت المعين والمحل المعين على إرادته ـ تعالى ـ لذلك بالضرورة ، وبالجملة فقد جعلوا التصديق في هذا القول صفة للخارق الواقع على الوجه المخصوص (أي معجزة النبي) مع جواز أن يعري ذلك للخارق عن صفة التصديق بانعدام شرط من شروط المعجزة ، فصارت صفة التصديق للخارق الحادث كسائر صفات الأفعال الحادثة ، وقد علمت أن اتصاف الحادث بصفة بدلاً عن نقيضها الجائز يدل عقلاً على إرادته الفاعل ، وهو الباري ـ تعالى ـ لذلك، لما تقرر أن الطبيعة والعلة لا يخصمان جائزًا بالوقوع بدلاً عن جائز يساويه" [٦] .

ثم يبين أنه اعترض على هذا القول : " بأن التصديق عندنا خبر عن الصدق ، وخبر الله ـ تعالى ـ أزلي ، لا يصح أن يكون حادثًا ولا صفة لحادث ، فلا يصح أن تتعلق به الإرادة؛ لأنها كالقدرة ، لا تتعلق إلا بالممكن .

فيجاب على هذا الاعتراض: بأن التصديق الذي تعلقت به الإرادة هو التصديق لهذا الخارق، أي خلقة ـ تعالى ـ دالاً على خبره بصدق رسوله ، فيكون هذا الخبر مدلولاً للتصديق الحادث الذي هو متعلق بإرادة الله ـ تعالى ـ، ويجاب — أيضاً — بأن الكلام فيه حذف مضاف ، أي الخارق بالشروط المذكورة يدل على إرادة الله تعالى صدق التصديق (أي

---

[١] نهاية الإقدام في علم الكلام لأبي الفتح محمد الشهرستاني، ٤٣٢،٤٣١،دون تاريخ ،مكتبة المثنى ،بغداد .
[٢] نهاية الإقدام في علم الكلام لأبي فتح محمد الشهرستاني ، السابق، ٤٣٢،٤٣١ .
[٣] السابق ذاته .
[٤] السابق ذاته .
[٥] يقصد الإمام أبو عبد الله السنوسي ، عالم من علماء الأشاعرة .
[٦] شرح السنوسية الكبرى : ٣٦٤ .

الأخبار عن صدق الرسول) الناشئ عن تصديقه ـ تعالى ـ لهم بذلك الخارق"[١] .

يقول الجويني في إرشاده ، وهو يقول بأن لها دلالة على مقتضى الضرورة العقلية: " إن المعجزة لا تدل على صدق النبي حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها ، فإن الدليل العقلي يتعلق بمدلول بعينه ، ولا يقدر في العقل وقوعه غير دال عليه وليس كذلك سبيل المعجزات"[٢] .

"ويبين هذا فإن الحدث يدل على المحدث، لم يتصور وقوعه غير دال عليه ، وانقلاب العصا حية، ولو وقع بدئيًا من فعل الله ـ ﷻ ـ من غير دعوى نبي ، لما كان دالاً على صدق مدعي ، فلقد خرجت المعجزات عن مضاهاة دلالات العقول"[٣] .

وهذا يوافق ما ذكرنا عن الإيجي، واستثنائه أشراط الساعة ، إذ تدخل تحت قول الجويني في وقوع الفعل المعجز من الله من غير دعوى نبي فلا يرد على صدق مدعي .

ويوضح بعد ذلك الجويني دلالة المعجزة عند الأشاعرة مع ضرب الأمثلة فيقول: "والمرضي عندنا أن المعجزة تدل على الصدق، من حيث أنها تتنزل منزلة التصديق بالقول"[٤] وساق مثال الملك والرسول " إذا قال على مشهد من الناس أنا رسول الملك إليكم، فإن كنت أيها الملك صادقًا في دعواه فخالف عادتك وانتصب واقعد، ففعل فتيقن الحاضرون على ضرورة تصديق الملك إياه، وينزل العقل الصادر منزلة القول المصرح بالتصديق "[٥] .

ولما سئلوا " إن سلم لكم ما ذكرتموه من نزول المعجزة منزلة التصديق بالقول، فلا يتم غرضكم دون أن تثبتوا استحالة الحلف وامتناع الكذب في حكم الله ـ سبحانه ـ ولا سبيل إلى ذلك إلا بالسمع ، فقالت الأشاعرة بأن الرسالة تثبت دون الحاجة إلى إثبات أخبار فيها تتعدى لكذبها أو صدقها؛ لأن المرسل قال: جعلته رسولاً، ولم يقل ذلك مخبرًا عما مضى، كمن يوكل أحدًا في أمره ويقول لوكلتك في أمري واستنبتك لشأني فهذا توكيل ناجز يستوي فيه الصادق والكاذب ، وآية ذلك أن الملك في مثال – الملك والرسول – وإن نقم عليه كذب وخُلف ، فالفعل الذي فرضناه منه يصدق الرسول ويثبت الرسالة قطعًا عن الغيب من غير ريب ، فهذا لا يتوقف ثبوته على نفي الكذب عن الباري ـ تعالى ـ" [٦] .

هذا قبل الرسالة أمَّا بعد ثبوت الرسالة"فلا يثبت صدق النبي فيما يؤديه وينهي عنه ويشرعه من الأحكام،إلا مع القطع بتقديس الباري ـ تعالى ، عن الخلف والكذب؛لأن النبي يعتضد فيما يدعيه من صدق نفسه في التبليغ بتصديقه الله له"[٧].

هذا ما ذهب إليه الإمام الجويني وهو كما رأينا لا يعتبر بمسألة التصديق والتكذيب قبل ثبوت الرسالة، أما بعدها فلا بد من الجزم عقلاً استحالة الكذب على الله ـ تعالى ـ .

ونعود إليه مقررًا هذه الدلالة في كتاب آخر، حيث يقول :

"إن المعجزة لا تدل على الصدق حسب دلالة الفعل على الفاعل، فإن الفعل لعينه يدل على فاعله، واختصاصه

---

[١] د.عبد الفتاح بركة : شرح السنوسية الكبرى المسماة عمدة أهل التوقيف والتسديد للإمام أبي عبد الله السنوسي ، ٣٦٤ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، مطبعة دار القلم ، الكويت .

[٢] عبد الملك أبو المعالي الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ٢٧٦،٢٧٥ .

[٣] السابق ذاته .

[٤] ينظر المرجع السابق ،٢٩٧،٢٨٧ .

[٥] المرجع السابق .

[٦] ينظر المرجع السابق ٢٧٩،٢٧٨.

[٧] المرجع السابق .

ببضع الوجوه الجائزة يدل على إرادة التخصيص ، فلا يتصور فعل غير دال على الفاعل، ولا يمتنع خارق للعادة يظهره الله ـ تعالى ـ بدئيًا من غير اتصال بدعوى النبوات بنزولها منزلة التصديق بالقول ، وذلك يتضح بصورة تفرضها ، وتوضح الفرض فيها"[1].

ثم قال بعد ضرب الأمثلة :" وهذا يتصل مدركه بضرورات العقول"[2].

ويؤيد الآمدي ما ذهب إليه الجويني فيقول: وقد يكون التعريف للتصديق بإظهار المعجزات على يد مدعي النبوات على وجه تدين له العقول السليمة بالإذعان والقبول، وذلك أنه إذا قال: أنا رسول وآية صدقي في قولي إتياني بما لا تستطيعون الإتيان بمثله، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرًا، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وشق البحر وقلب العصا حية، وغير ذلك من الآيات ، فإذا ما ظهر ذلك على يده مقارنًا لدعوته قطع كل عقل سليم ولُبٍ مستقيم بتصديقه في قوله وتحقيقه .

و أذعن إلى اتباعه وتقليده؛ إذ العقل الصريح يقتضي بأن ظهور الخارق للعادة مقارنًا لدعوته وعجز الناس عن معارضته مع توفر دواعيهم على مقابلته وإفحامه في رسالته ينهض دليلاً قاطعًا على صدق مقالته " [3].

ثم يقول مقررًا صدق النبي بعد ذلك :" وإلا فالعلم بصدق المتحدي بالنبوة عند اقتران المعجز الخارق للعادة بدعواه واقع لكل عاقل بالضرورة فإنه إذا قال: أنا رسول خالق الخلق إليكم ، ويعضد ذلك بما يعلم أنه يقدر على إيجاد أحد من المخلوقين ، ولا يتمكن من إحداثه شيء من الحادثات ، علم أن مبدعه وصانعه ليس إلا مبدع العالم وصانعه ، وذلك عند كل أديب منزل منزلة التصديق له بالقول على نحو ما ضربناه من المثال "[4].

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام الجويني من القول بالدلالة على أن نقتضي الضرورة العقلية وكذلك إمام الحرمين الجويني .

ما ذهب إليه الأشاعرة في هذه المسألة :

١- جمهور الأشاعرة قال بالدلالة العادية وعرضنا رأى عضد الدين الإيجي في مواقفه .

٢- الأشعرى ومن تابعه قال بالدلالة العقلية، وعرضنا رأى علماء منهم الشهرستانى .

٣- وبعضهم قال بالدلالة على مقتضى الضرورة العقلية، ومنهم إمام الحرمين الجوينى .

وبعد هذا أحب أن أعرض لرأى كاتب من الكتاب له رأي خاص في وجه دلالة المعجزة ذكره في كتابه (الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية)، حيث قال بأن لرأى المتكلمين في هذا أنها أدلة عقلية .

فيقرر ابتداء هذه الدلالة باعتبارها حجر مهم في إتمام البناء العقلي عند المتكلمين فيقول : " تمثل المعجزة باعتبار دلالتها على صدق الرسول حجر الزاوية في البناء العقلي لعلم الكلام ، كما أنه لكي يتم مقصد علم الكلام في قيام بنائه على أسس عقلية لا بد أن تكون دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية " [5].

ثم عرض النقد الذي تعرض له المتكلمون بخصوص هذا الموضوع ورد المتكلمين على هذا النقد .

١) **الشبهة الأولى** : احتمال أن لا يكون ذلك الأمر من الله ـ تعالى ـ، بل يستند إلى المدعى بخاصية في نفسه

---

[1] ينظر العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، للجويني ، ٦٨ ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ،١٩٧٨م، طبعة دار الشباب بالعباسية تحقيق د. أحمد السقا .

[2] المرجع السابق .

[3] الآمدي : غاية المرام في علم الكلام ، ٣٣١،٣٢٨ .

[4] السابق ذاته .

[5] انظر الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية ، للدكتور يحيى هاشم فرغلي ، ٢٥٣، دون تاريخ، دار الفكر العربي ، مطبعة دار القرآن ، مصر .

أو مزاج في بدنه ، أو يستند إلى بعض الملائكة أو الجن أو ..

٢) **الشبهة الثانية** : احتمال أن لا يكون خارقًا للعادة، بل ابتداء عادة أراد الله إجراءها أو تكريرها .

٣) **الشبهة الثالثة** : احتمال أن يكون مما يعارض، إلا انه لم يعارض لعدم بلوغه إلى من يقدر المعارضة أو لمواضعه من القوم ومواقفه على إعلاء كلمته أو الخوف أو الاستهانة أو ..

٤) **الشبهة الرابعة** : احتمال أن لا يكون لغرض التصديق : إما لانتفاء الاحتمالات وكون المعجزة بمنزلة صريح القول من الله بأن المدعى صادق فهو لا يوجب صدقه فعلاً بعد استحالة الكذب في أخبار الله ـ تعالى ـ ولا سبيل إلى ذلك بدليل السمع، وإلا لزم الدور ولا بدليل العقل، لأن غايته أن الكذب قبيح وهو على الله ـ تعالى ـ مستحيل، وثبوت المقدمين بغير دليل السمع في حيز المنع "[١] .

ثم يعرض جواب المتكلمين على هذا الاحتمالات إجمالاً ثم تفصيلاً فيقول:

" إجمالاً : أن الاحتمالات و التجويزات العقلية لا تنافي العلوم العادية الضرورية القطعية ، فنحن نقطع بحصول العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة من غير التفات إلى ما ذكر من الاحتمالات ولا بالإثبات .

وتفصيلاً :

أولاً : أنَّا بينا أن لا مؤثر في الوجود إلا وحده خاصة في إحياء الموتى ، وانقلاب العصا ، على أنه مجرد التمكن وترك الدفع من قبل الحكيم القادر المختار كاف في إفادة المطلوب .

ثانيًا : إن كلامنا فيما حصل الجزم بأنه خارق للعادة، وإن المتحدين عجزوا عن معارضته مع كونهم أحق بها .

ثالثًا : أنه لا خفاء ولا خلاف في ترتيب الغايات والآثار على بعض أفعاله ، وإن لم يكن أغراضًا له، على أننا لا نقول إنه فعل المعجزة لغرض التصديق، بل إنها دلت على تصديق من الله ـ تعالى ـ بذاته سواء جعل العلم أو كلام النفس أو غيرهما .

رابعًا : أن ظهور المعجزة على يد الكاذب لأي غرض فرض ، وإن جاز عقلاً بناءً على شمول قدرة الله ـ تعالى ـ فهو يمتنع عادة معلوم الانتفاء قطعًا كما هو حكم سائر العاديات ، قال القاضي : إن اقترن ظهور المعجزة بالصدق أحد العاديات ، فإذا جوزنا انحرافها من مجراها جاز إخلاء المعجزة عن اعتقاد الصدق ، وحينئذ يجوز إظهاره على يد الكاذب وأما بدون ذلك فلا؛ لاستحالة العلم بصدق الكاذب، ومنا (أي الأشاعرة) من قال باستحالته عقلاً (كما وضحنا في الآراء) .

خامسًا : أن مجرد إظهار المعجزة على يده يفيدنا العلم بصدقه وبتصديق الله إياه، من غير افتقار إلى اعتبار كلام وإخبار، ومن هنا يصح التمسك بخبر النبي في إثبات الكلام وامتناع الكذب والنقص على ما مر" [٢]

ثم يؤكد هذا بما ذكرنا عن إمام الحرمين الجويني في نفيه احتمال التصديق أو التكذيب هنا؛ لأن هذا ليس مجالاً لذلك ، ومثل ذلك بمثال من يوكل شخصًا ثم يذكر أنه لم يرد إلينا من عارض أو قدر على معارضة النبي، وليس فيه احتمال أنهم تركوا المعارضة مع القدرة عليها ، أو عارضوا ولم ينقل إلينا ، ثم يقول بعد هذا : (وفي اعتقادي أن الأجوبة التي قيلت على هذه الاحتمالات لم تنفها إلا بحسب الضرورة العادية ، والضرورة العادية منسوبة إلى العادة. وإذن فإن البناء العقلي لعلم الكلام – وهو يرتكز على دلالة المعجزة على صدق الرسول – يصبح كله قائمًا على الضرورة العادية،

---

[١] انظر المرجع السابق .
[٢] انظر المرجع السابق ،٢٥٧،٢٥٥ .

لا على الضرورة العقلية بشروطها وما تقتضيه من العلم المطابق للواقع الذي لا يحتمل النقيض)[١] .

فبان بهذا أنه جعل البناء العقلي في موضوع وجه دلالة المعجزة قائمًا على الضرورة العادية، وبهذا نستطيع أن نقول إنه تابع جمهور الأشاعرة فيما عرضناه من وجه دلالة المعجزة أولاً.

وأحب وبهذا أن أعرض أخيرًا رد الإيجي في موافقة على من قال بالدلالة العقلية حيث قال : (اقتران ظهور المعجزة بالتصديق ليس أمرًا لازمًا عقليًا كاقتران وجود الفعل بوجود فاعله ، بل هو أحد العاديات ، فإذا جوزنا أغراضها أي انحراف العاديات عن مجراها العادي جاز إخلاء المعجز عن اعتقاد الصدق حينئذ لجواز إظهاره على يد الكاذب؛ إذ لا محذور فيه سوى خرق العادة في المعجزة والمفروض أنه جائز ، وأما بدون ذلك التجويز فلا يجوز إظهاره على يده؛ لأن العلم بصدق الكاذب محال"[٢] .

وإذا كانت الدلالة عند الأسس المنهجية يقول:" وفي اعتقادي أن كون التواتر من العلم الضروري هو مما لا تستريح إليه النفس ، والأمر لا يرقى إلى أكثر من غلبة الظن"[٣].

ولذا جعل البناء العقلي للمتكلمين في هذا الموضوع يرتكز إلى الدلالة العادية لا العقلية، وهذا ليس من العلم الحق في شيء .

وبهذا نكون قد بينا رأي الأشاعرة في وجه دلالة المعجزة حسب ما توصلنا إليه من معلومات في هذا الموضوع ومن أقوال علمائهم ، والله من وراء القصد .

٢- وجه دلالة المعجزة عند المعتزلة :

تذهب المعتزلة إلى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية ، والأصل مبنى ـ كما بينا سابقًا ـ على مسألة (هل ظهور الآية أو المعجزة على يد الكاذب كائن أم لا ؟!) .

فالمعتزلة مبدَؤُها : "إن خلق المعجز على يد الكاذب مقدور لله لعموم القدرة، لكنه ممتنع وقوعه في الحكمة الإلهية ، والعلة : لأن في هذا إيهام صدق وهو إضلال قبيح (حسب مبدأ التحسين والتقبيح عندهم)، فيمتنع صدوره من الله، ومقتضى ذلك أن المعتزلة ترى أن دلالة المعجزة على صدق الرسالة دلالة عقلية وليست عادية؛ أي لا يجوز عقلاً تخلف المدلول عن الدليل" .

أما القاضي عبد الجبار فله رأي خاص في كتابية المغنى والأصول الخمسة، فيقول: "إن المعجزة تنزل منزلة التصديق بالكلام (القول) فكأن الله ـ عز وجل ـ صدق صاحب المعجزة بقوله: (أنت صادق) إذاً دلالتها على صدقه عند القاضي كدلالة الكلام على مدلوله ، وهذه تسمى بالدلالة الوضعية كما نسمع من يتكلم من وراء الجدار فيدل ذلك أنه حي"[٤].

يقول في الأصول الخمسة بعد أن ذكر شرائط المعجزة عند المعتزلة وأن المعجز لا بد أن يكون من جهة فاعل عدل حكيم قال : "وإنما قلنا لأن دلالة المعجز على ما يدل عليه بطريق التصديق ، فلو ادعى أحد أنه رسول من عند الملك والدلالة على صدقه أنه متى أراد وضع التاج على رأسه فعل ، فإذا فعل ذلك كان بمثابة التصديق لدعواه ، وإذا جاز أن يكون هذا المعجز من جهة من يصدق الكاذب لا يمكننا أن نعلم صدق من ظهر عليه ، فمتى حصل المعجز

---

[١] المرجع السابق ،٢٥٧ .

[٢] الشريف الجرجاني : شرح المواقف للإيجي ، ١٨٢ .

[٣] د. يحيى فرغلي : الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية ، ٢٥٧ .

[٤] الدلالة الوضعية : دلالة الإنسان على الحيوان الناطق، وتعرف بكون اللفظ بحال بحيث يلزم منه العلم بشيء آخر – من مذكرات المنطق – د.بركات عام ١٤٠٩هـ .

على هذه الأوصاف والشرائط التي راعيناها كان دالاً على صدق مدعي النبوة" [١] .

ويقول في مغنيه (فصل وجه دلالة المعجزات على النبوات) :

"اعلم أنها تدل على صدق الرسول فيما يدعيه من النبوة ، من حيث يقع التصديق، فلو وقع التصديق بعد ادعائه للرسالة وعند التماسه من جهة التصديق لدل على النبوة ، فذلك إذا وقع المعجز من قبله ـ تعالى ـ" [٢] .

والمقصود بالدلالة الوضعية كما يريدها القاضي "كدلالة الألفاظ بالوضع على معانيها ، قالوا : إن المواضع قد تعرف بصريح يدل على التواضع ، كما لو قال شخص لشخص: إن فعلت كذا فاعلم بذلك قصدي في طلبك ، ففعل ما وضعه عليه ، وقد تعرف المواضعة بصريح من أحد المتواضعين ، وبفعل من الثاني من غير أن يسمع كلامه، فإذا قال شخص في محفل بمجمع الملك وقد تآزر مجلسه بمجمع : أنا رسول الملك إليكم ، آيتي أن يخرق عادته وهو بمرأى من الملك ومسمع ، ثم قال : أيها الملك إن كنت صادقًا فاخرق عادتك ، وقم واقعد ، فأجابه إلى ذلك القيام، كان ذلك كالتصريح بالمواضعة على أن خرق عادته بقيامه يدل على إرساله" [٣] .

وكلا الأمرين (أي العقلية والموضعية) واحد وهو أن الدلالة عقلية ، وإنما اختلفا في تقرير كونها عقلية" [٤] .

وأصل المسألة عند القاضي عبد الجبار أنه لا يجوز عقلاً ظهور على يد الكاذب يقول : "وبعد فإذا علمنا من جهة العقل أن الصادق في ادعاء النبوة لا بد من ظهور المعجز عليه علمنا عند ذلك أن من لم يظهر عليه لا بد من أن يكون كاذبًا فإذا علمنا ذلك ، فلو حسُن ظهوره عليه ، وإن كان فقد ذلك يكفي في معرفة حاله ، لحسن ظهور المعجزات على كل من أخطأ في مذهب"[٥] .

معنى ذلك: أن القاضي عبد الجبار قال بالدلالة الوضعية ، ولكن لا بد أن يسبقها وضع اتفق عليه من قبل مثل مسألة الكلام من وراء الحائط ، ويبين هذه المواضعة بقوله : "بين ذلك بأنه لا فرق في رسول زيد إلى عمرو وقد التمس تصديقه، وبين أن يقول له : (إن كنت صادقًا فيما ادعيته من الرسالة فضع يدك على رأسك) ففعل ذلك من حيث حل هذا الفعل محل ذلك القول عند الدعوى ، وطلب التصديق — فكذلك القول فيما قدمناه، فإن قال : إن المواضعة في التصديق قد تقدمت وتقررت في النفوس فلذلك دل إذا وقع منه ـ تعالى ـ على صدقه فيما يدعيه من النبوة، وليس كذلك حال المعجز، لأن المواضعة فيه لم تتقدم، فلا ينفصل حاله إذا وقع عقيب الدعوى والطلب وبينه إذا وقع ابتداء ، قيل له عن التحاقه منه ـ تعالى ـ أن يصدقه فيما ادعاه المعجز المعين من وقوع ذلك عنده بمنزلة مواضعة تقدمت ، إذ كانت هذه لو تقدمت منها ، وجه يظهر بغيرها كظهور المواضعة على اللغة ، لكان فرق بينه وبين التصديق" [٦].

كل ذلك يؤكد أن القاضي عبد الجبار يجعل شيئًا سابقًا للرسالة؛ لكي تتم عملية المواضعة وهي الدلالة من المعجزة عنده ، ويميز القاضي المعجز من غيره أن يكون من جهة القديم ـ تعالى ـ فيدل حينئذ على النبوة فاعترض عليه بأنه على هذا يجب أن يدل على النبوة كل أمر يتعذر على سائر القادرين وإن جرت العادة بمثله ، إذا علمناه واقعًا من جهته ـ تعالى ـ"قال لا يجب ذلك لأنها بهذا القدر نعلم أنه من قبله ـ تعالى ـ دون غيره، وقد علمناه أن ما يقع منه ـ تعالى ـ قد

---

[١] انظر الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد – ٥٧١، ٥٧٢ – الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م – تعليق الإمام أحمد بن أبي هاشم – حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، م مطبعة الاستقلال القاهرة .

[٢] انظر المغنى في العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د. محمود الخضيري ، د. محمود قاسم ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

[٣] د. عبد الفتاح بركة : شرح السنوسية الكبرى ، ٣٦٥ _ ٣٦٦ .

[٤] انظر المرجع السابق ، ٣٦٦ .

[٥] عبد الجبار بن أسد أبادي : المغنى ، ١٥ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

[٦] القاضي عبد الجبار : المغنى ، ١٥ / ٢٤٠ .

يقع مضاداً فلا يعلم إذا وقع عند دعوى الرسالة والطلب أنه مفعول على وجه التصديق "[١] .

ووضح هذا بمثال: (أنه لو قال : اللهم إن كنت صادقًا فيما ادعيته من الرسالة فأطلع الشمس من مطلعها في وقتها ، وغير ذلك من الأمور المعتادة، لكان وقوع ذلك على طريقة الاعتياد لا يعلم به أن المراد به التصديق دون أن يكون مفعولاً على طريق نقض ، فإذا يجب مع كونه مما لا يقدر عليه العباد أن يكون خارجًا عن العادة فعند هذين الشرطين نعلم تعلقه بالدعوى على جهة التصديق" [٢]

ويوضح أيضًا أن المعجز لا يجوز على الله أن يفعله لغير ما وضع ظاهره له ، وحينما اعترض عليه بهذا وأن الله ـ تعالى ـ قادر أن يجعله مرة على الحقيقة ومرة على المجاز ، قال :

"إن التصديق إذا تجرد عن قرينة ودلالة، فالواجب على ما وضع حتى لا يجوز والحال هذه الخلافة ، وإنما يجوز الكلام أن يراد به المجاز والاستعارة إذا قارنته بالدلالة ، فأما إذا تجرد فلا يجوز عندنا فيه ذلك؛ لأنا لو جوزنا خلافة لم يصح أن نفهم بخطابة ـ جل وعز ـ شيئًا، فإذا صح في التصديق فالواجب مثله في المعجز بل المعجز، في أنه أقوى من التصديق؛ لأن طريقة المواضعة فيه كطريقة الحقيقة ولا يدخله المجاز" [٣]

إلا أن القاضي عبد الجبار ذكر بأن تخلف صدق مدعي النبوة عن ظهور المعجزة أمر غير جائز، لأن ذلك يؤدي إلى القبح له ـ تعالى ـ، وبما أن امتناع القبح لله ـ تعالى ـ عقلي فإن امتناع تخلف الصدق عن ظهور المعجزة عقلي .. فلما اعترض عليه في كونه قال بالدلالة الوضعية وهي من قبيل الدلالة العادية أجاب بأن طلب الرسول إلى الله أن يصدقه بإظهار معجزة تصدقه بمنزلة وضع تقدم عليها، كالوضع الذي في اللغة العربية ـ كما بينا في كتابه المغني ـ إلا أنه لما قال بتخلف صدق مدعي النبوة عن ظهور المعجزة أمر غير جائز ورأي اعتراض الناس عليه قال بالدلالة العقلية وقال مثبتًا أن القبح لا يجوز في حقه ـ تعالى ـ وأنه لا بد أن يُفعل الواجب .

" وقد بينا في باب العدل أن للقدير ـ تعالى ـ طريقه في باب الفعل ، وأنه لا يجوز أن يفعل القبيح ، ولا ما يثبت فيه وجه من وجوه القبح ، وأنه لا بد أن يفعل الواجب وما يجري مجراه ، يبين ذلك أنا لو علمناه بعقولنا من حال بعض القادرين منا أنه لا يختار من الخبر إلا صدقاً لكانت أخباره دالة على الصدق ، لا لأنها لا تصح أن تقع منه إلا كذلك ، كما لا يصح أن يقع الفعل إلا من القادر، بل لأنه لا يختارها إلا كذلك . فقد صح دلالة العقل على ما يدل عليه لا يجب أن تكون مقصورة على وجه الصحة دون وجه الاختيار " [٤] .

من كل ذلك يتبين ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار في أنه قال أولاً بالدلالة الوضعية وجعلها من قبيل الدلالة وليست دلالة عقلية ، ثم قال بالدلالة العقلية، فكلامه مضطرب ويستند في وجه دلالة المعجزة إلى أصول في الخلق والمعاد والإيجاب لله ـ تعالى ـ .

وأحب أن أعرض أخيراً في رأي المعتزلة في وجه الدلالة ما ذكره إمام الحرمين الجويني في إرشاده من اعترض عليهم حيث قال :" ثم نقول للمعتزلة : ما وجه دلالة المعجزة عندكم ؟ فإن قالوا: وجهها علمنا بأن الله لا يضل خلقه ، قلنا فعلمكم على زعمكم يقارن المعتاد من الأفعال حسب مقارنته للخارق منها للعادة ، فجوزوا أن يقع فعل معتاد اعتقادكم علمًا للنبي ، فإن قالوا : لابد من اختصاص المعجزة بوجه لأجله تدل ، قلنا : فبينوه نتكلم عليه ، فلا يزالون في عمه وحيرة . أو يرجعوا إلى الحق ، فإذا أوضحوا وجهًا سوى ما انتحلوه من فاسد معتقدهم فنقول : لا تظهر المعجزة على

---

[١] المرجع السابق ، ١٦٨ ، ١٦٩ .
[٢] انظر المرجع السابق ، ١٧٠ ، ١٧١ .
[٣] المرجع السابق ، ١٧٣ .
[٤] انظر المرجع السابق .

يد الكذاب ، لأنها لو ظهرت لدلت على صدقه، وتصديق الكاذب مستحيل في قضيات العقول "[١] .

٣- وجه دلالة المعجزة عند الماتريدية :

فمذهب الماتريدية ورأيها ينص على "أن ظهور المعجزة على يد الكاذب أمرٌ محال عقلاً؛ لأن هذا يؤدي إلى وجوب السفه على الله — وهو محال .، ومن ثم كانت دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية عندهم .

يقول صاحب كتاب الأسس المنهجية مبينًا السبب في قول الماتريدية أن ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلاً : "والماتريدية لإيجابية التسوية بين الصادق والكاذب وعدم التفرقة بين النبي والمتنبي وهو سفه لا يليق بالحكيم"[٢] .

فلما ينتج من هذه التسوية بين الصادق والكاذب وعدم التفريق بينهما، وهذا محال على الله . تعالى . الماتريدية بالدلالة العقلية وهو أن المدلول مستلزم للدليل .

" فإذا ثبت الإرسال عند الأمة بالمعجزة ، ثبت الإحكام بالدلالة السمعية، ولا يكفي الإرسال؛ لأن إثباته بالمعجزة موقوف على إثبات شمول القدرة والعلم والإرادة ، فإثبات حكم بالدلالة السمعية موقوف على إثبات شمول هذه الصفات (قياسي) . وهذا موقوف على إثبات أن الكتاب كلام الله سنة نبيه المبعوث إلينا لأجل الهداية ، ولا طريق إلى هذا الجزم سوى خبر النبي بذلك وإثبات صدقه في ذلك الخبر بالمعجزات ، فثبت أن إثبات حكم في الواقع بالكتاب والسنة والإجماع موقوف على إثبات البعث والإرسال بالمعجزة، وكلما كان هذا الفعل الخارق فعلاً لله . تعالى .، مقارنًا لدعوى النبوة ومستجمعًا لشرائط المعجزة،دل على تصديقه قطعًا، يلزم أن يكون هذا النبي صادقاً في دعواه" [٣].

وبعد فالذي أراه وأذهب إليه أن دلالة المعجزة على صدق النبي دلالة عقلية؛ لأن ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلاً ، فلا يليق هذا بالله وعظمته ، ولأن هذا يؤدي إلى التسوية بين الصادق والكاذب وهذا أيضاً محال على الله . تعالى .، إنما لو ظهر ما يدعي الكاذب أنه الخارق للعادة فإما أن يظهر دالاً على كذبه كما حدث لمسيلمة في موقعة البئر، وإما أن لا يكون على مقتضى ما تجري عليه معجزات الأنبياء حسب ما بينا في الفصل الأول من شروطها وخصائصها ، إنما يفعل الجن أو الشياطين ممن يتواطئون مع الكذب وأهله .

ويتضح هذا من خلال توضيح رأي السلف في ذلك ..

٤- وجه دلالة المعجزة عند السلف :

وأبينه من خلال رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك . ورأيه يتلخص في "وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية ، لأن الدليل مستلزم للمدلول (وهو صدق النبي) ، وآيات الأنبياء وهي خاصة بهم مستلزمة للنبوة فتدل على الصدق ولا يمكن أن يتخلف الصدق عنها بحال من الأحوال ، فلا توجد إلا مستلزمة للنبوة ، فبان من ذلك كله أن دلالتها عقلية" [٤].

فابتداء يقسم ابن تيمية مراتب المعجزات إلى ثلاث وقد سبق أن بيناها :

١- آيات الأنبياء .

٢- كرامات الصالحين .

٣- خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين،

---

(١) إمام الحرمين الجويني : الإرشاد ، ٢٧٥ .

(٢) د. يحيى فرغلي : الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية ، ٢٥٦ .

(٣) انظر من حاشية الشيخ إسماعيل الكلنبوي المتوفي سنة ١٢٠٥هـ .

(٤) من محاضرات في العقيدة : د. محمود خفاجي .

فآيات الأنبياء بهم وهي خارجه عن مقدور الإنس والجن والحيوان ، أما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره ، مثل الساحر وتحريضه (ولا تشترك مع آيات الأنبياء في شيء مما تختص به) ، أما كرامات الأولياء فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين(كما بينا في الكرامات) لا يبلغون درجة الأنبياء لكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم ، وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ولا تدل على أن الولي معصوم ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله، (ومن هنا تأتي كرامات الصالحين مؤيدة لصدق النبي)، والنبي يجب قبول كل ما يقول لكونه نبيًا ادعى النبوة، ودلت المعجزة على صدقه ، والنبي معصوم ، وهنا المعجزة ما دلت على النبوة ، والولي تكون كرامته متابعة للنبي وصحة دين النبي، فلا يلزم أن يكون هذا التابع معصوماً"[١] .

ثم يوضح أن الذي يحتاج إلى تبين الفرقان هو الفرق بين الأنبياء وأتباعهم وبين من خالفهم من الكفار وغيرهم ، وبين ما يكون دليلاً على صدق صاحبه كمدعي ، وبين ما لا يكون على صدق صاحبه ، فإن الدليل لا يكون دليلاً حتى يكون مستلزمًا للمدلول، متى وجُد وجُد المدلول ، وإلا فإذا وجد تارة مع وجود المدلول ، وتارة مع عدمه فليس بدليل (أي يصبح عادة) .

فآيات الأنبياء وبراهينهم لا توجد إلا مع النبوة ، ولا توجد مع ما يناقض النبوة ، ومدعي النبوة إما صادق وإما كاذب ، والكذب يناقض النبوة ، فلا يجوز أن يوجد مع المناقض لها ما يوجد معها ، وليس هنا شيء مخالف لها ولا مناقض ، فإن الكفر والسحر والكهانة كل هذا يناقض النبوة لا يجتمع هو والنبوة [٢] .

ثم يبين أحوال الناس في هذا : " والناس رجلان، رجل موافق لهم (أي الأنبياء) ، ورجل مخالف لهم ، فالمخالف مناقض"[٣] .

ويقول أيضاً في فصل دلالة المعجزة على النبوة مبيناً صحة هذا الرأي : "فإن الدليل هو ما يكون النظر الصحيح فيه مفضياً إلى العلم بالمدلول عليه ، وإنما يكون الصحيح لمن يعقل دلالة الدليل ، فمن لم يعقل كون الدليل مستلزماً للمدلول لم يستدل به ، ومن عقل ذلك استدل به ، فهو يدل بصفة هو في نفسه عليها لا بصفة هي في المستدل ، لكن كونه عقلياً يرجع إلى أن المستدل علمه بعقله وهذا صفة في المستدل لا فيه، أو الأجود أن يقال : إن الدليل قد يدل :

١- بمجرده .
٢- وقد يدل بقصد الدال على دلالته .

فالأول يحتاج إلى قصد الدلالة كما تقول النحاة : إن الأصوات تدل بالطبع كالنحنحة، وتدل بالوضع ، فما يدل بقصد الدال أحق بالدلالة ودلالته أكمل ، ولهذا كانت دلالة الكلام على المقصود المتكلم وهي دلالة سمعية أكمل من جميع أنواع الأدلة على مراده ، فمنها ما يدل بمجرد منها، ومنها ما يدل بقصد الدال، فإذا انضم إليه ما يعرف أنه قصد الدلالة دل ، فالدليل هنا في الحقيقة قصد الدال للدلالة ، وهي دلالة تنتقض إذا لم يجز عليه الكذب ، وإنما الذي دل به على قصده هو دل يجعله دليلاً لم يدل بمجرده ، فهو دليل بالاختيار لا بمجرده ، فالأقوال والأفعال التي يقصد بها الدلالة تدل باختيار الدال بها لا بمجردها ، ودلالتها تعلم بالعقل [٤] .

---

[١] انظر النبوات لابن تيمية ، ٨ ، ٩ .
[٢] انظر المرجع السابق .
[٣] انظر المرجع السابق .
[٤] انظر النبوات لابن تيمية ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

ويقول :" وكل من أتى بآية وبرهان وحجة ، فقد علم أنه يقول : إنها مستلزمة للمدلول عليه[٥] .

ومن كل هذا تبين صحة ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أن وجه دلالة المعجزة على صدق النبوة إنما دلالة عقلية ، تُعلم بالعقل لأن الدليل مستلزم للمدلول ، وهو صدق النبي ، وهذا واضح لكل عاقل .

* * * * *

[٥] المرجع السابق ، ١٧٨ .

الفصل الثاني: إثبات رسالة النبي ﷺ

المبحث الأول : المعجزة القرآنية

* **تمهيد** :

وبعد أن تجولنا قليلاً مع رياض العلم والعلماء في هذا الموضوع وبيّنا ما يختص بالمعجزة في الفصل الأول ، ثم أثبتنا إمكانها وعدم استحالتها ، نثبت هنا ما يختص بأكبر معجزات نبي هذه الأمة محمد ﷺ وهي القرآن ، فعن طريق هذه المعجزة الخالدة أثبت الله رسالة نبينا محمد ﷺ ، وكان لا يزال آية خالدة للعالمين لا يقرؤه مؤمن إلا ازداد إيمانا ، ولا يكفر به جاحد إلا خسر خسرانا ، ولا عمل به الناس إلا هدوا به أجيالاً وأجيالاً ، فهو معجزة خالدة ، وهو أعظم آيات النبي ﷺ ، لذلك فقد توفرت فيه جميع ما ذكرنا من خصائص المعجزات عند السلف الصالح .

يقول أحد العلماء :

(أجرى الله على يد نبينا محمد معجزات باهرات ، وآيات مبصرات إذا نظر فيها مريد الحق دلته على أنها شهادة صادقة من الله لرسوله ﷺ وقد عدها بعض العلماء ففاقت على ألف معجزة ، وأعظم الآيات التي أعطيها رسولنا ﷺ بل أعظم آيات الرسل كلهم — القرآن الكريم — والكتاب المبين ، وهو آية تخاطب النفوس والعقول ، آية باقية دائمة إلى يوم الدين لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل قال . تعالى .: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ چ [فصلت:٤١،٤٢][1] .

* **تعريف القرآن** :

ابتداء وضمن ما نحن بصدده من التعريف بالقرآن ضمن ما بيناه ، نعرض لتعريفه في اللغة والاصطلاح فهو محور مهم نمهد به بحثنا ونفتح به جهدنا بإذن الله تعالى .

أولاً: في اللغة :

مصدر مشتق من قرأ ، يقال : قرأ قراءة وقرآناً .

ومنه قوله تعالى : چ ﯾ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ [القيامة:١٧،١٨] أي قراءته[2] .

ولقد ذهب العلماء في لفظ القرآن إلى مذاهب :

أ) قال الشافعي[3]: إن القرآن اسم غير مشتق من شيء ، بل هو اسم خاص لكلام الله المنزل على النبي ﷺ .

ب) وقيل[1] : إنه مشتق من القرائن ، جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضها فكأن بعضها قرينة على بعض، وواضح أن

---

(1) انظر الرسل والرسالات ، للدكتور عمر الأشقر ، ١٣١ .

(2) د. محمد حسين الذهبي : الوحي ، والقرآن ، ص ٣٣ ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة .

(3) الشافعي : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ، أبو عبد الله نزيل مصر أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة ، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين ، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩هـ توفى بها وقبره معروف في القاهرة وكانت ولادته ومماته سنة (١٥٠ ــ ٢٠٤هـ)، برع في الري كما برع في الشعر واللغة العربية وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، تصانيفه (الأم) (المسند) (أحكام القرآن) (السنن) (الرسالة) (انظر الأعلام للزركلي ٦ / ٢٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ، ١٠ / ٢٦٢ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، تهذيب التهذيب لابن حجر ، ٩ / ٢٥ ، دار الفكر العربي) .

النون في "قرآن" أصله ، ومثل هذا القول للقرطبي .

ج) قيل أيضاً [٢] : وبعض العلماء أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ، فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل الجمع بين الحج والعمرة قران .

د) وقيل [٣] : إن لفظ القرآن مشتق من القرء بمعنى الجمع ، قال أبو عبيد: سمي القرآن قرآنا "لأنه جمع السور بعضها إلى بعض" . وقال الراغب : سمي قراناً لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة ، قيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعانٍ . كما قال تعالى : چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ [الأنعام:٣٨] .

هـ) وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن "وقرأ" مادته بمعنى جمع لقوله تعالى : چ ی □ □ □ □ □ چ [القيامة:١٧] فغاير بينهما ، وإنما مادته "قرأ" بمعنى أظهر وبين لظهوره وخروجه ، والقرء : الوقت : فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر [٤]

و) وقال آخر : إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا ، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر [٥]

وهذا أعتبره أقوى الأقوال وأرجحها فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة.

ثانياً : في الاصطلاح :

كلام الله العربية المعجز المنزل على النبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته[٦] وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل : المعجز أو المتحدي بأقصر سورة منه ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس[٧]. وما ذكرناه تعريف جامع مانع إن شاء الله تعالى .

*** من خصائص القرآن :**

١) كونه معجزاً : خصصته من بين كتبه سبحانه المنزلة .

٢) كونه متعبداً بتلاوته فقراءة ما تيسر منه ركن من أركان الصلاة .

٣) كونه عربياً : چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ [الشورى:٧].

وإذن فتفسير القرآن وترجمته إلى غير العربية إذا روعي فيه المحافظة على معانيه ومراميه لا يعدان قرآناً ولا يكون لأي منها ما للقرآن من مكانته وقداسته، ولا ما فيه من خاصية التعبد وروعة الإعجاز، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله إلى كونه كلام البشر [٨].

وهذا مسلم به ومشهور بصحته .

*** الغرض من إنزاله :**

١) أن يكون معجزة لنبينا محمد ﷺ تشهد بصدق دعوته .

---

(١) والقول للقراء .

(٢) والقول للأشعري .

(٣) والقول للزجاج .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ، ١ / ٢٧٧ ، الطبعة الثانية ، ١٢٩١ / ١٩٧٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل .

(٥) الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ١ / ٨٧ ، دار الباز ، مكة المكرمة .

(٦) أحمد محمد داود : علوم القرآن والحديث ، ص ٩ / ١٠ ، دار البشير عمان .

(٧) محمد حسين الذهبي : الوحي والقرآن الكريم ، ص ٣٣ ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة .

(٨) المرجع السابق .

٢) أن يكون دستورا للأمة الإسلامية تستمد منه الهداية والرشاد وتستلهم منه الصواب والسداد وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها إلى عز الدنيا وسعادتها في الآخرة [١] .

إن المتأمل في هذا الكتاب الكريم يجده دواء لكل داءٍ، وهداية وشفاءً، ومزودًا لكل طالب وقاصد ، من كان محزوناً فقرأه سرى عنه ، ومن طلب البلاغة وروعة الألفاظ بهر بما فيه ، ومن طلب قانوناً ونظاماً للاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو غير ذلك وجد كل ما يبغيه وبأروع مما كان يطلب .

وصدق تعالى إذ يقول : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ[الإسراء:٩] .

ويفصل أحد أئمة التفسير[٢] إذ يتكلم عن هدي هذه الآيات فيما يقارب سبعاً وأربعين صفحة نورد منها مقاطع لما فيها من عظة وعبر :

يقول ـ جزاه الله خيرًا ـ : "وهذه الآية الكريمة أجمل الله ـ جل وعلا ـ جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها ، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك :

١- توحيد الله ـ جل وعلا ـ، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها .

٢- ومن هدي القرآن للتي هي أقوم جعله الطلاق بيد الرجل .

٣- ومن هدي القرآن للتي أقوم تفضيله الذكر على الأنثى في الميراث .

٤- ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين ، فالقرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين .

٥- ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديه على أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادي بالارتباط بها دون غيرها إنما هي الإسلام ثم يقول : والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع وتؤلف المختلفة هي رابطة لا إله إلا الله" [٣].

ويمضي في إثبات ما يقول نقلاً وعقلاً بكلام يأخذ اللب وعين القلب .

*** أسماء القرآن وصفته :**

وبين أيدينا نور نستشعر به يسري إلى كل وجداننا ونحن نقرأ كتاب الله العظيم، وتتعالى الأنوار وتسطع مع كل اسم من أسمائه وكل صفة من صفاته ، ويطالعنا القرآن الكريم بين روائع آياته بأسماء لها معانٍ جمة .

فمن أوائل أسمائه وأهمها :

- القرآن : يقول تعالى : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[يونس:٣٧] .
- الكتاب : يقول تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[الأنبياء:١٠] .

وهذان الاسمان اشتهر بهما القرآن الكريم ، وسبب التسمية بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور؛ لأن الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ . كما أن في تسميته بالقرآن إيماءةً إلى حفظه في الصدور؛ لأن القرآن مصدر القراءة وفي القراءة استذكار ، ولقد بدت تسمية هذا الوحي بالكتاب وبالقرآن طبيعة جداً لامتياز الوحي المحمدي في مراحله كلها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) هو الإمام محمد الأمين الشنقيطي .

(٣) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن : محمد الأمين محمد المختار الجكنتي الشنقيطي ، ٣ / ٤٠٩ ، ٤٥٦ ، عالم الكتب ، بيروت .

بهذه العناية المزدوجة في صيانة نصوصه ، وحفظ تعاليمه منقوشة في السطور ، مجموع من الصدور .

والغالب في الاستعمال : هو لفظ القرآن بالمدلول المصدري[1] .

وقد بلغت أسماء القرآن خمسة وخمسين اسماً، ذكره ابن تيمية في دقائق التفسير وعدّها ، فهي نعمة عظيمة من الخالق ـ عز وجل ـ أن يكرمنا بوحيه المنزل علينا ، خاصة وقد ميزه سبحانه عن كلام العرب بالجملة والتفصيل ليس في أسمائه فقط وإنما في كل ما يختص به حتى الفواصل والتناسق وطريقة العرض .

ومن أسماء القرآن أيضاً :

كتابٌ ومبينٌ في قوله تعالى : **چ ٱ ٻ ٻ ڀ ڀ چ** [الدخان:١،٢] ، وقرآنٌ وكريمٌ في قوله : **چ ٱ ٻ ٻ ڀ چ** [الواقعة:٧٧] ، وكلامٌ **چ ۆ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ** [التوبة:٦] ، **چ ې ې ى ى چ** [النساء:١٧٤] ، وهدىً ورحمةٌ : **چ ڑ ک ک چ** [يونس:٧٥] ، وفرقانٌ : **چ ۓ ۇ ۇ ۆ چ** [الفرقان:١] ، وشفاءٌ : **چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ** [الإسراء:٨٢] ، وموعظةٌ : **چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ چ** **چ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ** [يونس:٧٥] ، وذكرٌ مباركٌ: **چ گ چ** [الأنبياء:٥٠] ، وعليٌ : **چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ** [الزخرف:٤]،وحكمةٌ: **چ ئا ئائە چ** [القمر:٥] ، وحكيم : **چ ٻ ٻ ٻ پ پ چ** [لقمان:٢] ، إلى آخر أسماء القرآن وهي ـ كما ذكر العلماء ـ خمسة وخمسون اسماً [2] .

لقد تكلم العلماء في تفسير هذه الأسماء للقرآن العظيم في كتبهم المتعددة عن القرآن وعلومه ، ومن ذلك ما ذكره الزركشي[3]. وقد ذكرنا سبب تسميته الكتاب بالقرآن .

- وأما الكلام : فمشتق من التأثر ، يقال كلمة إذا أثر فيه فسمي الكلام كلامًا؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .
- وأما النور فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام .
- وأما تسميته هدى : فلأن فيه دلالة بينة إلى الحق وتفريقاً بينه وبين الباطل (ولعل الإمام الشنقيطي فصل في ذلك وأجزل –كما أسلفت) .
- وأما تسميته ذكراً : فلما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية وهو مصدر ذكرت ذكراً : الشرف قال تعالى : **چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ** [الأنبياء:١٠] أي شرفكم .
- وأما تسميته "تبياناً" فلأنه بين فيه أنواع الحق وكشف أدلته .
- وأما تسميته بشيراً ونذيراً : فلأنه بشر بالجنة وأنذر من النار .
- وأما تسميته شفاء : فلأنه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ومن علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .
- وأما تسميته مثاني : فلأنه فيه بيان قصص الكتب الماضية فيكون البيان ثانيًا للأول الذي تقدمه فيبين الأول

---

[1] صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ١٧ ، ١٨ ، ط ١٤ دار العلم للملايين .

[2] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ٦٧ ـــ ٦٨ ، دار الباز .

[3] الزركشي : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات الذين تجمعوا بمصر في القرن الثامن ، من أعلام الفقه والحديث والتفسير، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ، رحل إلى حلب ثم دمشق ثم عاد إلى القاهرة جامعاً للعلوم ، توفي بمصر في رجب سنة ٧٩٤هـ . ودفن بالقرافة الصغرى ، له تصانيف عدة . انظر (البرهان في علوم القرآن ١ / ٥ ، ٧) .

الثاني . وقيل سمي مثاني لتكرار الحكم والقصص والمواعظ فيه ، وقيل إنه اسم الفاتحة وحدها (فسمي به) .

- وأما تسميته مجيداً : والمجيد الشريف فمن شرفه أنه حفظ عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله .
- وأما تسميته بصائر : فإنه مشتق من البصر والبصيرة جامع لمعاني أغراض المؤمنين كما قال تعالى: ﭽ
       ﭼ[الأنعام:٥٩] .
- وأما تسميته ذكرى : فلأنه ذكر للمؤمنين، ما فطرهم الله عليه من التوحيد وأما قوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[الأنبياء:١٠٥] .

فمعنى الذكر هنا : أم الكتاب الذي من عند الله ، و الزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود[1] .

- **وصف القرآن :**

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : وصفه بأنه يقص وينطق ويحكم ويفتي ويبشر ويهدي ، فقال : ﭽ
    ﭼ[النمل:٧٦] ، و ﭽ ﯔ ﭼ[الجاثية:٢٩] ، ﭽ ﯔ ﯕ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ و ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[النساء:١٢٧] أي يفتيكم، أيضاً : ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[الإسراء:٩][2] .

- **جمع القرآن وتدوينه :**

أ) **في عهد النبي ﷺ :**

أبدأ هذا التاريخ المشرف بكلام قاله الرافعي في هذا الموضوع :

"أنزل هذا القرآن منجماً في بضع وعشرين سنة وربما نزلت آياته الروحية ، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وأبلغ الحجة عليهم وأظهر لوجهه وإعجازه وأعدى لأنه يجري أمره في مناقلاتهم ويثبت في ألسنتهم ويتسلسل به القول" [3]
يريد بذلك القول إلى أن نزول القرآن متفرقاً كان أبلغ في تحدي العرب وإثباتاً لإعجاز هذا الكتاب العظيم إذ نزل جملة واحدة لكان لهم بعض العذر والحجة ، ولكن الله أدحض حجتهم وأثبت عجزهم عن الإتيان بأقصر سورة فيه وثبت هذا بمرور الزمن ومضي الأعصار .

ويجمع القرآن إطلاقان :

١) فتارة يطلق لحفظه في الصدور .
٢) وتارة يطلق لكتابته كله حروفه وكلماته ، آياته وسوره .

ولو كان اهتمام الرسول ﷺ الأكبر هو حفظ الصحابة للقرآن، وتطبيقهم له والإتيان بما أمر الله به والكف عما زجر عنه ، أو إذا طلب واحد فهم الكتابة لنفسه ، وكان يستدعي البعض للكتابة عليه الصلاة والسلام ، أو الأمر، لم يمانع عليه الصلاة والسلام .

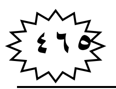
يقول الزركشي : "جاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذي والمستدرك وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول :

---

[1] انظر الإمام الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٢٧٩ ، ٢٨١ ت محمد أبو الفضل إبراهيم .

[2] المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

[3] مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن النبوية ، ٣٣ ، الطبعة التاسعة، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ ــ بيروت .



ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر منها كذا وكذا[١] قال الترمذي : هذا حديث حسن وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي البخاري عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد .

وقيل في رواية أخرى : جمعه ستة : الأربعة ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وقيل عثمان لا أبو الدرداء[٢] .

والحق أن حملة القرآن أكثر من ذلك بكثير بدليل من قتل في يوم القيامة في أول خلافة أبي بكر ، وقد عزا الشيخ عز الدين أبو شامة صحة هذا الحديث إلى أن المقصود :

١) أنه لم يجمعه على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك النفر .

٢) أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة ، ومنها أنه لم يجمع القرآن عن رسول الله ﷺ وأخذه من فيه تلقياً غير تلك الجماعة ، وغير ذلك[٣] .

فالحصر هنا كما قال الزرقاني : إضافي لا حقيقي، لأن أنس ذكر مرة أُبي في رواية بدل أبى الدرداء ، وهو صادق في كلتا الروايتين ﷺ .

وأميلُ في توجيه الرواية إلى ما قاله الزرقاني:

"وذهب بعضهم إلى أن الجمع في حديث أنس المذكور مراد به الكتابة لا الحفظ[٤] (إذ إن كلمة القرآن قد تفي من حملوه كتابة) ، وغيره . كما أضفناه سابقًا . فنخلص من هذا أن الكتابة كانت موجودة في عهد النبي ﷺ ولكن لأشخاص معينين ولسور معدودة ولأغراض خاصة والاعتماد الأكبر على الحفظ في الصدور".

مثال : قال أحد المحققين[٥] : "ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور على حفظ المصاحف والكتب ، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال : (إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم ، فقلت له : أي رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة . فقال : إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرؤه نائماً ويقظان ، فابعث جيشاً بحث مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك وانفق ينفق عليك)[١] .

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل الماء . بل يقرأني كل حال كما جاء في صفة أمته أناجيهم صدورهم وذلك "وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤه كلمة إلا نظراً عن ظهر قلب "أهـ[٢].

هذا يدل على أن القرآن الكريم لم يدون في عهد رسول الله ﷺ في المصحف كما ذكر زيد بن ثابت قال : قبض

---

[١] المرجع السابق ، ١ / ١٤٢ .

[٢] المرجع السابق .

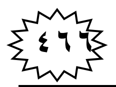
[٣] الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١ / ١٤٣ .

[٤] الزرقاني : مناهل العرفان ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ (بتصريف) .

[٥] هو ابن الجزري .

[١] أخرجه مسلم كتاب الجنة ، باب صفة القيامة ، ١٧ / ١٩٨ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ٤ / ١٦٢ .

[٢] المرجع السابق .



النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء[٣]. يقول السيوطي عن الخطابي : إنما يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك بوفاء وعده الصادق يضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء على يد الصديق بمشورة عمر .

وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن " فلا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابه مخصوصه على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور[٤] .

ويفصل الزرقاني في أسباب عدم الكتابة إضافة إلى السبب الذي ذكره السيوطي في إتقانه على لسان الخطابي : منها أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر، حتى كتبه في صحف ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف، فالمسلمون وقتئذ بخير والقراء كثيرون والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد الفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة وأدوات الكتابة غير ميسورة وعناية الرسول ﷺ باستظهار القرآن تفوق الوصف وتوفي على الغاية، حتى في طريقة أدائه على حروف السبعة التي نزل عليها ومنها : أن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر .

ومنها : أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله ، فقد علمت أن نزوله كان على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات[٥] .

ب) جمعه في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

روى البخاري [٦] في صحيحه : عن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة " والتي استشهد فيها من الصحابة نحو أربعمائة وخمسين[٧] فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استمر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستمر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير .

لقد ألقيت الأعباء بزمامها على أبى بكر الصديق . رضي الله عنه . وشعر بحجم المسئولية وأن النجاة في الاستمساك بالعروة الوثقى ، وعلم يقينًا أن الخير كل الخير في اقتفاء سيرة سيد الأنبياء والمرسلين حذو القذة فلا زيغ ولا انحراف ولا ابتداع ولا اختراع ، وفي يوم من أيام حياته المباركة عرض عليه أمر لم يفعله المصطفى ﷺ فتردد فيه ، وتردد أبى بكر ليس نقصًا فيه، لا والله بل هو دليل قاطع على وقوف هذا الرجل عند حدود الله واقتفائه لسنة حبيبه ﷺ ، عرض عمر أمرًا ففكر فيه ثم استشار زيد بن ثابت حتى شرح صدر الخليفة الأول للفكرة لما فيها من المصلحة ، ولما فيها من حفظ لهذا الكتاب العزيز وتأييدًا لقوله . تعالى .: چ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ں چ [الحجر: ٩] حفظ لما كان يتنزل على رسوله الكريم ، والقدوة العظيم ، والذي يحرص أبو بكر على اقتفاء أثره واتباع منهجه ، وبهدوء المؤمن ووقار الواثق بالله بدا أبو بكر الصديق ﷺ تنفيذ هذه الفكرة المباركة بعد كثرة مراجعة عمر واقتناع أبي

---

[٣] قول زيد نقلاً من الإتقان السيوطي ، ١ / ٧٦ حيث قال : قال السديري قولي في فوائده : حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت .

[٤] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٧٦ ، دار الباز مكة المكرمة .

[٥] محمد بن عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢٤١ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

[٦] ذكره البخاري في صحيحه ، (انظر فتح الباري ، ٩ / ١٠ كتاب الفضائل القرآن ، باب ٣ ، حديث رقم ٤٩٨٦) .

[٧] اليمامة سنة ١١هـ .

بكر ﷺ . كما ذكر الحديث (فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر) ويتوجه أبو بكر إلى زيد كاتب وحي رسول الله ﷺ ويقول له : إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن أجمعه ، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن [١].

وتتجلى لنا عظمة هذه الشخصية ، وروعة هذا الموقف ، بمجرد اقتناعه بأهمية هذا الأمر للدين والعقيدة ، وبدأ التنفيذ وتلك من شيم المؤمنين قولٌ وعمل ، وإيمان وتصديق ، ثم يشعر بعظم هذه المسئولية ومشقة هذا العمل؛ لأن التقوى تحتوي قلبه وجوانحه؛ فها هي سيما المؤمنين الورعين تتجلى في عمل جليل يقوم به أبو بكر . رضي الله عنهم . أجمعين .

ويبادر زيد لإبداء رأيه .

قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال أو قالا: هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين [٢].

وبدأ زيد بن ثابت في تتبع القرآن وجمعه من العسف[٣]واللخاف[٤] وصدور الرجال ، يقول : (كما ورد في الصحيح)[٥].

ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصاري لم يجدها مع غيره (وقد جعل الله شهادة أبى خزيمة شهادة رجلين) وهي الآية : ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[التوبة :١٢٨] حتى خاتمة براءة (هذا مع علمنا أن كثيراً من أصحابه كان يحفظها ولكن ليشفع زيد الحفظ بالكتابة استيثاقًا لما يجمع).

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفى ، ثم عند حفصة بنت عمر، ويشير المحاسبي أبو عبد الله[١]: إلى أن كتابة القرآن ليست محدثة لأن الرسول ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن في العسف والأكتاف[٢].

ونسخها الصديق إلى مكان آخر (جمعها موحدة كلها) حتى لا يضيع منها شيء [٣].

كيف تم الجمع :

لقد كانت مدرسة محمد ﷺ تعج بالقلوب التقية والأرواح النقية التي تراعي حدود الله وتتقيه ، فها هو ذا زيد بن ثابت يعطينا درسًا في ضرورة التحري وأهمية التقوى ، وخاصة في الوحي كلام الله . فلقد وضع له أبو بكر وعمر

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن الإمام الزركشي ١ / ٢٣٣ ، والإتقان للسيوطي ١ / ٧٦ .

(٢) المرجعان السابقان .

(٣) العسف وقيل العسب ، جمع عسيب وهو جريد النخل يكتب في الطرف العريض .

(٤) جمع نحفة وهي الحجارة الدقاق او صفائح الحجارة .

(٥) أخرجه البخاري ، (فتح الباري ، ٩ / ٢٢ كتاب فضائل القرآن) .

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي ويكنى أبا عبد الله من أكابر الصوفية ،كان عالماً بالأصول والمعاملات وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ ، وقد نشأ بالبصرة من كتبه آداب النفوس ، شرح المعرفة ، المسائل في أعمل القلوب ، الجوارح والتوهم، رسالة المسترشدين . (انظر الأعلام للزركلي ٢ / ١٥٣، صفة الصفوة ، ٢ / ٣٦٧ دار المعرفة ، ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠).

(٢) الأكتاف : جمع كتف وهو عظم البعيرة والشاة يكتبون عليه بعد أن يجف .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن : د. صبحي الصالح ، ص ٧٤ .

شرطين لجمعه القرآن :

١- أن يكون مكتوبًا .

٢- أن يكون محفوظاً في الصدر .

بل إنه لم يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه مكتوب بين يدي رسول الله ﷺ ، يدل على ذلك على ما أخرجه أبو داود عن طريق يحيى بن عبد الرحمن بن طاحب قال : " قدم عمر فقال : من كان تلقن من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسف كما بينا – وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان " .

وما كان اعتماد زيد على الحفظ فقط، إنما على الكتابة أيضًا، هذا ما ذكرناه في قصة أبي خزيمة عند أواخر آية في سورة التوبة ، رغم أن زيدًا كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها إلا أنه بحث حتى وجدها مكتوبة [٤].

أبو بكر أول من جمع كتاب الله في مصحف :

أخرج أبو داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال : سمعت عليًا يقول : أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله ، أما ما روي عن طريق ابن سيرين قال : قال علي : لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته .

قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لانقطاعه ، وبتقدير صحته فمراده يجمعه في صدره أي يحفظه ، وكذلك يذكر السيوطي أن من غريب ما ورد أن أول جمعه سالم مولى أبي حذيفة أقسم ألا يرتدي رداءً حتى يجمعه ثم ائتمروا ما يسمونه ؟ قال بعضهم : سموه بالسفر ، قال : ذلك تسمية اليهود فكرهوه فقال رأيه : مثله بالحبشة يسمى المصحف فاجتمع رأيهم أن يسموه المصحف[٥].

قال السيوطي : إسناده منقطع أيضاً وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر[٦] .

---

[٤] انظر مناهل العرفان للزرقاني ، ١ / ٢٤٥ .

[٥] هذا أخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف عن طريق كهمس عن أبي هريرة .

[٦] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٧٧ .

مميزات هذا المصحف :

يخطئ البعض أن يظن أن أول من جمع القرآن في المصاحف هو عثمان بن عفان ﷺ ، وليس كذلك، إنما من جمعها في مصحف واحد هو الصديق ﷺ ، أما جمع عثمان بن عفان خوفه الاختلاف في القراءة لذلك جمعه بقراءة واحدة[١].

قال : وروينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي ﷺ ، ورويناه عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر والنسخ في المصاحف في زمن عثمان، وكان ما يجمعون وينسخون معلوماتهم بما كان مثبتًا في صدور الرجال، وذلك كله بمشورة من أحضره من الصحابة وارتضاه علي بن أبي طالب وحمد أثره منه[٢] .

لذا فإن مصحف أبي بكر الصديق يمتاز بالآتي :

١) جمعت آياته على أدق أصول البحث والتحري والتثبيت العملي بقواعده المعروفة ،(خاصة إذا وفق هذا تقوى الله وخشيته) .

٢) الاقتصار على ما لم ينسخ تلاوته .

٣) إجماع الأمة عليه وتواتر مافيه .

٤) جمع هذا المصحف للقراءات أو الأحرف السبعة التي يسر الله بها على هذه الأمة، كما كانت الأحرف السبعة في الرقاع كذلك[٣] .

ج) جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ :

في عهد عثمان بن عفان . رضي الله عنه . اتسعت الفتوحات الإسلامية، وبالتالي كثر الداخلون إلى الإسلام ، وبعد الناس من عهد الوحي والتنزيل والرسول ﷺ ، مع اختلاف القراءة في كل إقليم ، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب ، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وغيرهم يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري ، فالاختلاف وارد في حروف الأداء ووجوه القراءة، أضف إلى هذا أن الأحرف السبعة لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار وكان من الصعب أن يعرفوها جميعها حتى يتحاكموا إليها ، إنما كل صحابي في إقليم يقرؤهم بما يعرف من الحروف، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع ، خاصة وأن مصحف أبي بكر خالٍ من النقط والتشكيل كما نعلم . حتى وصل إلى ما أخرجه ابن أبي داود في المصاحف من طريق أبي قلابة أنه قال : "لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فخطب فقال : أنتم عندي تختلفون ، فمن تأنى عني من الأنصار أشد اختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، فاكتبوا للناس إمامًا"[٤] .

يريد بذلك جمع الكلمة وتوحيد الصف على كتاب واحد وقراءة واحدة .

كل ذلك جعل من عثمان مقدامًا وثابًا منفذًا لكل ما فيه صلاح المسلمين واجتماع كلمتهم مؤيداً لما قاله حذيفة

---

[١] انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ، نقله عن البيهقي ، ١ / ٢٣٥ .

[٢] انظر مناهل العرفان للزرقاني ، ١ / ٢٤٧ .

[٣] انظر المرجع السابق .

[٤] انظر التفسير الطبري ، ١/ ٢٧ ، ومناهل العرفان للزرقاني ، ١ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

ابن اليمان كما يروي البخاري [٥] عن أنس : أن حذيفة قدم من غزوة في خرج (فتح) أرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس ، فقال عثمان : وما ذاك: قال غزوت خرج أرمينية ، فحضرها أهل العراق وأهل الشام ، فإذ أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، فتكفرهم أهل العراق وإذ أهل العراق بقراءة ابن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام[١] .فأرسل إلى أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها ، فأمر بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم وزيد (لأنه من الأنصار) في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل في كل أفق مصحفاً مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[٢] .

وفي رواية (أنه كتب إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا وكذا ، ومحدث ما عندي ، فامحوا ما عندكم)[٣] .

وينبئنا هذا النص الصحيح بمجموعة أمور على جانب عظيم من الأهمية :

أولاً : أن الاختلاف المسلمين في قراءة القرآن كان الباعث الأساسي على أمر عثمان باستنساخ صحف حفصة وجمعها في مصاحف ، وليس أي شي آخر .

ثانياً : أن اللجنة التي كلفت بهذا العمل كانت رباعية ، ثلاثة من قريش وأنصاري.

ثالثاً : أن اللجنة الرباعية اتخاذها صحف حفصة أساسًا لنسخ المصاحف إنما استندت إلى أصل أبي بكر ﷺ .

رابعاً : أن القرآن نزل بلغة قريش فهي اللغة المفضلة لكتابة النص القرآني عند حدوث خلاف بين القرشيين الثلاثة وزيد ، أن هذا لا ينافي كتابة القرآن بطريقة تجمع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن لأن تلك الكتابة كانت غير معجمة ولا مشكلة ، ولأن وجوه القراءات كانت توزع على المصاحف حين لا يحتملها الرسم الواحد .

خامساً : أن عثمان أرسل إلى الآفاق الإسلامية بمصحف مما نسخه هؤلاء ، ورأي حسماً للنزاع أن يحرق ما عدا ذلك من الصحف والمصاحف الخاصة[٤] .

منهجية عثمان ﷺ في الكتابة :

اتفق الصحابة على أن لا يكتبوا في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن وعلموا استقراره في العرضة الأخيرة وأيقنوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ وتركوا سوى ذلك نحو قراءة "فامضوا إلى ذكر الله" بدل كلمة (فاسعوا) ونحو " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة يأخذ كل سفينة صالحة غصباً" بزيادة كلمة صالحة . وكتبوا مصاحف متعددة لإرسالها إلى الأمصار وكتبوها متفاوتة في إ إثبات وحذف وبدل وغيرها لأنه ﷺ قصد اشتمالها على الأحرف السبعة .

وجعلوها خالية من النقط والتشكيل تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً ن مثل كلمة "فتبينوا" تقرأ "فتثبتوا" وكذلك كلمة

---

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه (فتح الباري ٩ / ١١ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٣ ، حديث رقم : ٤٩٨٧).

[١] انظر تفسير الطبري ، ١ / ٢٦ دار الفكر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

[٢] انظر الإتقان في علوم القرآن لليسوطي ، ١ / ٧٨ ، الربهان ١ / ٢٣٦ وروايته تربط في سياق واحد يبين عمل أبي بكر وعثمان في جمع المصاحف من حديث زيد بينما في صحيح البخاري يتفرد يوصف عثمان وهي من حديث أنس . ذكر هذا صبحي الصالح في المباحث ٧٨ .

[٣] انظر تفسير الطبري ، ١ / ٢٧ .

[٤] د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ٧٩ ، ٨٠ .

"أف" التي ورد أنها تقرأ بسبعة وثلاثين وجهاً ، فاللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة ، أما الذي تختلف في وجوه القراءات فإن كان لا يمكن رسمه في الخط محتملاً لتلك الوجوه كلها فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يتوهم ان اللفظ نزل مكرراً بالوجهين في قراءة واحدة[1] .

كل هذا يدلنا على أن الغرض من جمع عثمان ﷺ للمصحف إنما هو لمنع الاختلاف في وجوه القراءة ، وإن كان قد وسع بلغة في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج ومنعاً للمشقة في ابتداء الأمر رأي أن الحاجة انتهت فاقتصر على لغة واحدة ، أما ابي بكر فلخشية ذهاب القرآن . مما كان مجموعاً فيه من الصحائف[2].

وبعد .. فتلك شامة بيضاء أراد الله أن يكرم بها أمير المؤمنين عثمان فقد بذل جهوداً عظيمة ﷺ منعاً للاختلاف ودفعاً لسفك الدماء،وعياً منه ﷺ بما قاله سبحانه: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [آل عمران:١٠٣] .

وقوله تعالى:ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [آل عمران:١٠٥،١٠٦] فاللهم بيض وجوهنا في الدنيا والآخرة .

* * *

---

[1] انظر في مناهل القرآن للزرقاني ، ١ / ٢٥١ ، ٢٥٢ .

[2] انظر الإتقان في علوم القرآن ١ / ٧٩ .

ترتيب الآيات والسور

١) ترتيب الآيات :

لقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي نزل من عند الله سبحانه وتعالى وأمر الرسول ﷺ وكتابته على ذلك وما يثبت ذلك من النصوص ما أخرجه أحمد بإسناد حسن[١] عن عثمان بن أبي العاص قال كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال :

أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ، چ ڃ ڃ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[النحل:٩٠] .

قال السيوطي : ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما يثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة ، والأعراف في صحيح البخاري أنه قرأها في المغرب ، والصف في المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلت ثم ختمها في سور شتى من المفصل ، تدل قراءته ﷺ لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آياتها توقيفي ، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافة فبلغ ذلك مبلغ التواتر ثم يبين خطأ الرواية التي أخرجها ابن داود في المصاحف من طريق محمد بن إسحاق عبد يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : أتى الحخارث بن خزينة بها تبين الآيتين من آخر سورة براءة فقال : أشهد أنى سمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها فقال عمر : وأنا أشهد لقد سمعتها ، ثم قال : لو كانت ثلاثة آيات جعلتها سورة على حدة فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوا في آخرها [٢] .

قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم يؤلفون آيات السور باجتهاد وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا توقيف .

يؤيد ذلك ما ذكره صاحب كتاب شرح السنة :

الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أزنل الله على رسوله ﷺ من غير أن يزيدوا أو ينقصوا منه شيئاً ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن يقدموا شيئاً أو يؤخروا ، ووضعوا له ترتيب لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يُلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، انزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة وترتيب غير ترتيب التلاوة[٣].

٢) ترتيب السور :

اختلف العلماء فيه على رأيين :

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٢١٨ ، بدون ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

[٢] راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ٨٠ ، ٨١ فقد ذكر ستة أدلة لتوكيد هذا .

[٣] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٨١ ، ٨٢ .

أ) فجمهور العلماء أنه باجتهاد من الصحابة منهم مالك[1] .

لذلك اختلفت مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف على كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني .

ب) أنه توقيفي لا اجتهاد فيه . قال السيوطي نقلاً عن الزركشي في البرهان : والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول ك إنه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته .

ولهذا قال الإمام مالك إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم .

الرأي الأول ليس على إطلاقه – كما وضح السيوطي – إنما ترتيب كثير من السور كان علم ترتيبها في حياة النبي ﷺ كالسبع والحواميم والمفصل وأن ما سوى ذلك وهو قليل يمكن أن يكون قد فُوض الأمر فيه إلى الأمة من بعده، وهذا مركوز إلى علمهم بأسباب النزول ومواضع الآيات – ويشهد على ذلك الأحاديث الواردة في قراءته ﷺ للبقرة ، آل عمران ، المعوذات ، أو السبع الطوال [2]

ولعل الراجح هو الرأي الذي يقول بأن يقول ترتيب الآيات توقيفي للآتي :

١) ورود الترتيب في حياة النبي ﷺ .

٢) أن مفاد الرأي الأول ليس على إطلاقه إنما في القليل فقط ، وحتى هذا القليل ما كان إلا ممن كان لهم علم غزير وجليل في مواطن السور والآيات وأسباب النزول وسمعوا ذلك شفاهاً من رسول الله ﷺ .

وأما وجود مصحف عند الصحابة كعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يختلف ترتيبه عن المصحف الأخير فما ذلك إلا لسماعهم من الرسول ﷺ وليس اجتهاداً منهم في الترتيب ، إضافة إلى أنهم أجمعوا كلهم على مصحف عثمان حينما توحد ، ما عدا عبد الله بن مسعود ﷺ شرح الله صدره لذلك سلم وأذعن لما فيه من صلاح المسلمين ووحدة أمرهم .

ويقول د. صبحي [3] الصالح : إن قول الزركشي وترتيب بعضها ليس هو أمراً أوجبه الله بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ولهذا كان لكل مصحف ترتيب لا ينبغي أن يسلم على علاته ، لا اعتقد أنه ينبغي أخذه والعمل به مع ثقتي أنه لا يقصد تخطئة البرهان لأني بينت أن قصد الإمام الزركشي حتى فيما قاله هذا إنما في القليل ، والقليل معزو إلى السماع من الرسول ﷺ لا بعمل من قبل الصحابة خاصة وأن الإمام الزركشي يذكر القول الثالث إضافة إلى ذكره هو .

مال إلى هذا بعض العلماء[1] لأن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل وأشاروا إلى ان ما سوى ذلك يمكن ان يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده[2] .

---

[1] الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الحميري المدني ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد أعلام الإسلام ، ولد سنة ٩٣هـ في المدينة ، وطلب العلم صغيراً من علمائها منهم ابن هرمز ، والزهري وروى له في الموطأ ١٣٢ حديثاً وغيرهم وكان لمالك عدة كتب في الفلك والرياضيات ، وهو صاحب الفقه المالكي في كتابه الموطأ ، توفي سنة ١٧٩هـ (انظر تهذيب التهذيب ٥ / ١٠ ، وطرح التثريب في شرح التقريب ١ / ٩٤) .

[2] انظر الإتقان للسيوطي : ١ / ٨٣ .

[3] د. صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ٧١ .

[1] هو القاضي أبو محمد بن عطية .

[2] الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٢٥٧ .

خاصة وأن ما فوض فيه إلى الأمة قليل جداً ، والله أعلم .

وبعد هذا العرض الموجز عن القرآن تعريفه والغرض من إنزاله . وأسماؤه وصفاته وجزء من تاريخ جمعه نعرض أو نخلص إلى هذه النقاط المهمة والتي ترد كيد من أراد الطعن في هذا الكتاب العظيم:

١) قد كتب في عهد الرسول ﷺ ورتبت آياته وسوره ، ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى في العام الحادي عشر للهجرة ، والقرآن الكريم كله مكتوب في السطور ، محفوظ في الصدور .

٢) وقام أبو بكر الصديق بجمع القرآن في صحف مجتمعة في كل واحد ، ولم يلحق ﷺ بربه في العام الثالث عشر الهجرة غلا والقرآن كله مجموع في دار الخلافة لا نقص فيه ولا زيادة به .

٣) ولم ينته العام الخامس والعشرون للهجرة إلا والقرآن قد كتب بين دفتين بلغة واحدة هي لغة قريش ، وأرسلت منه نسخ إلى عواصم الأمصار الإسلامية كمكة والشام والبصرة والكوفة ومصر والبحرين واليمن والمدينة وغيرها من البلاد .

٤) وقد أجمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، قديماً وحديثاً على صحة ما قام به أبو بكر وعثمان — رضي الله عنهما — وتلقوه بالرضا والقبول .

٥) وقد نقل إلينا هذا القرآن منذ عهد الصحابة حتى يومنا هذا بطريق التواتر حفظاً وكتابةً [٣].

* * *

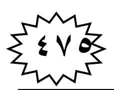
المبحث الثاني : القرآن آية صدق النبي ﷺ ، أهميته وشرفه

- **تهميد :**

وأبدأ هذا البحث ببعض من معجزات الرسول ﷺ سواء الحسية أو المادية ثم أوضح أقوال بعض العلماء والمفسرين

---

[٣] د. محمد شلبي شيتوي : مقارنة الأديان ، (القرآن دراسة وتحليل) ، ٦٧ ، ٦٨ ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .



في أعظم معجزة للنبي ﷺ وهي معجزة القرآنية ومن ثم أوضح شرف هذا القرآن ومميزاته .

- **بعض معجزات الرسول ﷺ :**

لقد جرت سنة الله في خلقه أن يرسل المرسلين المؤيدين بمعجزات تدل على صدقهم ، وتميز دعوتهم المباركة عن غيرها من الدعوات الكاذبة المفتراة وكما لا يخفي على ذوي لب أن الله سبحانه وتعالى أيّد محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين بمعجزات حسية (أو مادية) أذكرها عداً لعدم الحاجة إلى التفصيل مثل :

١) نبع الماء من بين يديه ﷺ .

٢) تكثير الطعام القليل ببركته .

٣) انشقاق القمر .

٤) الإسراء إلى بيت المقدس .

ومعجزات عقلية مثل :

١) إجابة الله دعاءه ﷺ ، كاستجابته لدعائه ﷺ على أشراف قريش يوم بدر ، ودعائه بالغوث لما نزل القحط بالمسلمين .

٢) إخباره عن الغيب والمستقبل بوحي من الله تعالى كإخبار أن فاطمة أول من يلحق به من أهله ، وبشارة انتصار الإسلام ودحر للمسلمين للروم والفرس(١) وقد ذكر أنها أشياء خارجة عن ذاته وهي ما ذكرناه ، ثم الأحوال العائدة إلى ذاته مثل الخاتم وخلقته الدالة على النبوة وقسم ثالث يتعلق بصفاته(٢) .

- **معجزة النبي الكريم :**

ثم ينفلج النور ويتفتق الضياء عن المعجزة الخالدة ، معجزة المعجزات والتي كتب الله لها البقاء حتى قيام الساعة مهما تغيرت الأحوال وتبدلت الأجيال لترسم للعالم طريق الهدى وتفتح للعالمين مسالك البر والتقوى .

القرآن الكريم آية صدق النبي ﷺ كما أيد الله أنبياءه السابقين بمعجزات حسية معروفة للجميع ليثبت لمن جحد وكفر نبوته مرسل ويزداد الذين آمنوا إيماناً .

ويثبت الله هذا في محكم تنزيله . انزل الكتاب العظيم على محمد ﷺ رحمة للعالمين وآية من آيات الله سبحانه فقال تعالى : **چ ﮔ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﯦ ﯦ ﯧ ﯧ ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ﯪ ﯪ ﯫ ﯫ ﯬ ﯬ ﯭ ﯭ ﯮ ﯮ ﯯ ﯯ ﯰ ﯰ ﯱ ﯱ ﯲ ﯲ ﯳ ﯳ ﯴ ﯴ ﯵ ﯵ ﯶ ﯶ ﯷ ﯷ ﯸ ﯸ ﯹ ﯹ چ**[العنكبوت:٥٠،٥١] .

- **أقوال العلماء في عظم هذه المعجزة :**

يقول العلامة ابن كثير(١) في تفسير هذه الآية :

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات ترشدهم إلى أن محمداً رسول اله ، كما اتى صالح بناقته ، قال تعالى : چ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ چ [العنكبوت :٥٠] . أي قل يامحمد.

ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقلهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم وقد

---

(١) انظر الإعجاز في دراسات السابقين – د. عبد الكريم الخطيب ، ٥٨ _ ٦٤ ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م – دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – بلبنان .

(٢) انظر كتاب بينات المعجزة الخالدة : د. حسن ضياء الدين عتر ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، دار النصر – حلب – سوريا .

(١) عبد العزيز المحمد السلمان : من معجزات النبي ﷺ ، ط : ١٢ ، ص : ١٥٠ .

جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، الذي هو أعظم من كل معجزة وإذا عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله عن معارضة سورة ثم يذكر ما يؤيد ذلك من السنة ، ما روي في المسند(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من نبي من الأنبياء وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة"(٣).

ويقول سبحانه وتعالى مؤيداً صدق محمد ﷺ حيث أنزل هذا القرآن وهو معروف معلوم عند علماء بني إسرائيل ومحمد ﷺ أمي لا علم له بلوازم الحرف والكتابة يقول جل وعلا: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ [الشعراء:١٩٧،٢٠١] .

يقول سيد قطب :

فقد وردت صفة الرسول الذي ينزل عليه القرآن كما وردت أصول العقيدة التي جاء بها في كتب الأولين ومن ثم كان علماء بني إسرائيل يتوقعون هذه الرسالة وينتظرون هذا الرسول ويحسون أن زمانه قد أظلهم ويحدث بعضهم بعضاً بهذا كما ورد على لسان سلمان الفارسي ولسان عبد الله بن سلام – رضي الله عنهما – والأخبار في هذا ثابتة كذلك "إنما يكابر المشركون ويعاندون لمجرد المكابدة والعناد ، لا لضعف الحجة ولا لقصور الدليل ، فلو جاءهم أعجمي لا ينطق العربية فتلاء عليهم قرآناً عربياً ما آمنوا به ، ولا صدقوه ولا اعترفوا أنه موحي إليه حتى مع هذا الدليل الذي يحبه المكابوين" (٤) .

إن الله سبحانه وتعالى يوضح أن الدليل موجود والحجة قائمة ولكن مكابرة المشركين وعنادهم ران عليهم واستقر في قلوبهم فهم يكابرون ويجحدون مع عظمة الآيات وروعة الأدلة .

يقول الشنقيطي في هذه الآية :

(والضمير في سلكناه قيل للقرآن وهو الأظهر ، وقيل للتكذيب والكفر المذكور في قوله ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ . وهؤلاء الكفار الذين الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب أليم هم الذين حقت عليهم كلمة العذاب وسبق في علم الله أنهم أشقياء كما يدل لذلك قوله تعالى : ﭽ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [يونس:٩٦] . ثم يقول وقوله : ﭽ ﯿ ﰀ ﭼ [الشعراء:٢٠٠] .

نعت لمصدر محذوف أي كذلك المسلك أي الإدخال سلكناه ، أي (أدخلناه في قلوب المجرمين) ، وإيضاحه على أنه القرآن ، أنزله الله على رجل عربي فصيح بلسان عربي مبين ، فسمعوه وفهموه لأنه بلغتهم ، ودخلت معانيه في قلوبهم ولكنهم لم يؤمنوا به لأن كلمة العذاب حقت عليهم .

---

(٢) العلامة ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصري الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠هـ ، وقدم لدمشق وله سبع سنين ، وقال الذهبي مولده سنة ٧٩٠هـ أو بعدها بقليل ، وهو من تلاميذ ابن تيمية وامتحن بسببه ، واشتغل بالحديث والتفسير ، توفي في رمضان سنة ٧٧٤هـ ودفن بمقبرة الصوفية ، وله مصنفات كثيرة منها التفسير ، البداية والنهاية ، طبقات الشافعية ، مساند الثمين وغيرها . طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٣٤ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، ١ / ١٨٦ ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، والإمام أحمد في مسنده ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٣٥٨ .

وعلى أن الضمير في سلكناه للكفر والتكذيب فقوله عنهم:ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[الشعراء:١٩٩] . يدل على إدخال الكفر والتكذيب في قلوبهم أي كذلك المسلك سلكناه [١].

ولتحدي المشركين القرآن إيضاح فما سيأتي إن شاء الله .

شيخ الإسلام ابن تيمية :

ونعرض هنا لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يبين بدلالات واضحة ما يختص بهذا الموضوع فيقول :

" والقرآن نفسه هو كلام الله ، فيه شهادة الله بما أخبر الرسول وأنزله على محمد ﷺ وإتيان محمد به هو آية وبرهان وذلك من فعل الله إذا كان البشر لا يقدرون على مثله ولا يقدر عليه أحد من ألأنبياء والأولياء ولا السحرة ولا غيرهم كما قال تعالى : ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [الإسراء:٨٨] .

ثم يقول : ومنها إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جمع الإنس والجن إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا بل يعجزون عنه . وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك ، وإذا لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه ، في هذا الخبر فيسند عليه ما قصده ، وهذا لا يقدم عليه عاقل مع اتفاق الأمم المؤمن بمحمد والكافر به على الكمال عقله ومعرفته وخبرته إذ قاد العالم بسياسة لم يسهم أحد بمثلها ثم جعلها في القرآن المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة الذي يقرأ به الصلوات وسمعه العام والخاص والولي والعدو على كمال ثقته بصدق هذا الخبر " يشير إلى أن القرآن يدل على صدق النبي وأنه أقسم على بيانه وأثبت إعجازه .

ثم يقول : " دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز مثل عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته وعدم العقل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة فلما كانت دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة وانتفت المعارضة علم عجز جميع الأمم عن معارضته وهذا برهان بين يعلم به صدق هذا الخبر ، وصدق هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز فذلك آية مستقلة لنبوته وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر ، معلومة لكل أحد وهي من أعظم الآيات فإن كونه معجزاً يعلم متعددة ، والإعجاز فيه من وجوه متعددة .

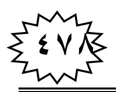
- **شرف القرآن العظيم :**

" وللقلب ها هنا وقفه قبل الخوض في هذا الموضوع وسرد نصوص العلماء في ذلك " إنني أمام مهمة صعبة ومهمة في نفس الوقت ، فهي صعبة لا من حيث سياق المادة العلمية . إنما لأنني أكتب عن جانب يخص هذا الكتاب العظيم ، ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [فصلت:٤٢] فأي كلام يفيه ، ،أي سياق يصفه مهما كتب من هم أصحاب القلم والكلمة والعلم والمعرفة ، فغن ذلك قليل القليل في حقه ، فيكفيه شرفاً أنه جاء لإنقاذ هذه الأمة من سواد ودمار إلى نور ونجاة ، وكفى بالمؤمن شرفاً أنه يحمل بين جنبيه آيات منه يهدي الله بها قلبه وينير بصيرته ويسعد حياته وكفانا شرفاً أننا بهذا القرآن وتطبيقه انتقلت حياتنا من موت إلى حياة ، ومن ظلام إلى نور ، فإذا هذه النعمة تربو على كل النعم ، ويفوق شكرها كل الشكر ولو جعل الإنسان عمره كله من مولده إلى وفاته وجبينه ساجداً لله شكراً على هذه النعمة فلن يفيه حقها .

إن لقراءة القرآن وتلاوته آفاقاً تُفتح كلما قرأها القلب ووعاها ، إن لقراءة القرآن القلب لحلاوة ، وفي الروح طراوة ،

---

[١] سيد القطب : في ظلال القرآن ، ٥ / ٢٦١٧ ، ٢٦١٨ .



فإذا الحزين يمتلئ فرحاً ، والمنكوب يمتلئ أملاً ، والخائف يمتلئ أمناً ، يقرأ من يريد أن يأخذ من مآثر اللغة منهلاً فيجد أوفى ما يطلب ، ويتلو من يريد أن يسمو مع آياته فيرتفع بالقلب القاسي إلى الفردوس الأعلى فيهفو قلبه إلى عالم الملائكة والطهر والعبادة ويجد أحلى ما كان يطلب وأروع ما كان يتمنى .

ويتلوه المنكوب والمكروب فإذا الحياة أمامه مفتوحة طرقها ، ممهدة أساليبها ، فيسلك الصعاب والأمل يحدوه والشوق يعلوه . ويتلوه الحزين فإذا اليسر يدغدغ قلبه ويملأ خاطره فيطير بالفرج فرحاً وإن تأخر عنه .

ويقرأه الصغير فيكبر ، ويكبر مع منهجية آياته وقدرتها على التربية والتمحيص ، ويقرأه الكبير فيتعلم حتى يمشي وعليه وقار المؤمن ويتكلم بالآلئ الحكم ونور التقوى كل هذا وغيره كثير .

إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي مهما قراه الإنسان المؤمن الواعي المحب لربه تفتحت أمام ناظريه معاني جديدة حتى وإن كان يردد أو يقرأ آية واحدة عشرات المرات مثلاً ، فإنه في كل مرة يسطع المعنى وتشع الروعة بنور جديد وهداية عظيمة ولذة تتسرب إلى العروق والعصب والعضل .

وصدق سبحانه حين قال : ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[النحل:١٨] ، وقال: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[النحل:٥٣] .

إنه كلام الله لا كلام غيره ، ولقد شهد بهذا العرب وهم على غير صلة بدين الإسلام فحينما دغدغ القرآن قلوبهم لم يسع الواحد منهم –كما قال الزرقاني – " إلا أن يلقي السلاح من يده ويخضع لسلطان وهذا التنزيل وبلاغته ويدين له ويؤمن به ، عن إدراك ووجد بعد أن ذاق حلاوته ولمس إعجازه وحكم بملكته العربية النافذة وصراحته المعروفة الساخرة وشجاعته النادرة الفائقة إن هذا الذكر الحكيم لا يمكن أن يكون كلام مخلوق من البشر إنما هو : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[فصلت:٤٢] .

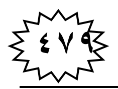
ومن خلال ما ذكرته سابقاً عن عظم هذه المعجزة من خلال أقوال العلماء والمفسرين يتبين لنا شرف هذا الكتاب العظيم ومكانته العظيمة في هذا الدين فهو المصدر الأول والمرجع الأساسي لشريعة الله مع السنة المطهرة ، والذي تعود إليه المؤلفات وتؤخذ منه الأحكام والمجلدات ، فما أشرفه من كتاب يتضمن صدق متحملة ، ورسالة تشتمل على قول مؤديها ، بين فيه سبحانه أن حجته كافية هامة لا يحتاج مع وضوحها التي بينه تعددها أو حجة تتلوها ، وأن الذهاب عنها كالذهاب عند الضروريات ، والتشكك في المشاهدات ولذلك قال عز ذكره: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[الأنعام : ٧] [1]لذافقد ذكر الباقلاني [2] أن علومه من أشرف العلوم وأنه أهم ما يجب على أهل الإسلام كشفه وإدراك معانيه ، وتفسيره والعمل به ، وتطبيقه ، والعيش في بحور علمه ومنافذه وعلومه ومنافعه فقال : " ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق بينه ﷺ برهاناً ، ولمعجزاته ثبتاً وحجة ، ولا سيما أن الجهل ممدود الرواق [3] شديد النفاق[4] مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء والدروس على خفاء وطموس، وأهله

---

[1] الزرقاني : مناهل العرفان ، ١ / ٢٣٣ .

[2] الباقلاني : إعجاز القرآن ، المقدمة ، ٣).

[3] الباقلاني : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ، قاض من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة ، ولد بالبصرة وسكن بالبغداد وتوفي فيها (٣٣٨ ــ ٤٠٣هـ)كان جيد الاستنباط ، سريع الجواب ، وجعله عضد الدولة سفير أمته إلى ملك الروم ، فجرت له في القسطنطنية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها ، من كتبه (إعجاز القرآن ، الإنصاف ، الملل والنحل ، مناقب الأئمة) . انظر الأعلام للزركلي .



في جفوة الزمن البهيم يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشيم حتى صار ما يكاد بدونه قاطعاً عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ في سلبه "[٥].

تجربة الباقلاني :

وانظر إلى تجربة الباقلاني وماكتبه من كلمات في بابه الأول بعنوان كلمات الله وكلام الناس :" وتخير أروع وأبلغ ما يقال عنه من منثور الكلام ومنظومه ثم عش معه يوماً أو أياماً ، وعد إليه بعد هذا مرة ، ومرات ومرات ! فماذا تجد لهذه التجربة لعندك ؟ أتريدني أن أكشف لك عن معطيات هذه التجربة في نفسك ؟ لا ! أنت أولى بهذا ، واقدر عليه، ولكني أحدثك عن نفسي لو أخذت مكانك في هذه التجربة ووقفت منها موقفك لا شك أن لي في النقطة الأولى مع هذا الكلام المتخير لحظات طيبة مسعدة تنتشي فيها الروح ، وتنشرح لها الصدور ، ويرضى بها العقل والقلب ، ثم على قدر ما فيه من قوى إثارة والتأثير ، يكون حظ النفس منه في الغدوات والروحات بعد هذا ، ثم ماذا ؟ ثم يجئ الوقت الذي يكون فيه لقاء ثم الإثارة ولا تأثير ، ثم أتريدني أن أزيدك علماً بما يقع في نفسي من معطيات اللقاء بعد هذا ... مع هذا الكلام البليغ المتخير حسبك أن تعلم أن أقسى عقوبة تقع على نفسي هنا هو أن بفرض على ترديد هذا الكلام وملء فمي وسمعي به مرة بعد مرة ، بعد أن أخذت النفس حاجتها منه .

إن الأمر قد يصل بعد هذا إلى حد الاختناق ، إن جميع الفنون الجميلة كلها مهما تكن فهي صنعة إنسان فيها الإنسان كله بخيره وشره ، بقوته وضعفه ، بصحته ومرضه ، بشبابه وهرمه ، بحياته وموته ، فإذا أثارت هذه الآثار في الإنسان ذكاءه وأرضت حذقه ومهارته فإنها تستدعي في الوقت نفسه مسارب ضجره ومسامه ، وملله ، إنها تشرق وتغرب في قلبه ، وتحيا وتموت في كيانه !!

والقرآن كلام ولكنه أصدق الكلام ، هو حديث ولكنه أحسن الحديث كلام الله سبحانه وتعالى وحديث الحق جل شأنه ثم يقول :

ومن ذاق عرف كما يقال ، وقد ذاق المسلمون الأولون حلاوة القرآن ، تلك الحلاوة التي لم يجدوا لها شبيهاً فيما يقع اللسان من مذاقات الشرب والطعام وفيما تجد الأذان من نغمات الأصوات والألحان ، وفيما يروع القلب من آيات الحسن والجمال ، وفيما ينشده العقل من بينات العلم والحكمة ، إنها حلاوة تستولي على كيان الإنسان كله وتاخذ عليه حسه ووجدانه وقلبه وعقله .

ولقد كان بعض المسلمين يختم القرآن مرة بالنهار ومرة بالليل ثم يذكر قول سهل بن عبد الله في رحلة إلى الملأ الأعلى لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه ، لأنه كلام الله ، وكما أنه ليس له نهاية لفهم كلمة ، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه ، وكلام الله غير نخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثه مخلوقة .

يزيد على طول التأمل بهجته   كان العيون الناظرات صياقل [١]

مميزات القرآن الكريم :

لذا نريد للمسلمين ان يجعلوه دستور حياتهم ومصدر عزهم .

---

[٤] الرواق : الفسطاط .

[٥] النفاق : الرواج .

[١] الباقلاني : إعجاز القرآن ٣ ، ٤ .

٣) انه للتحدي وإقامة الحجة فهو معجز وبين :

٤) أن لكل مغترف منه قطرة :

فمن يتلوه ويتغنى به يرتفع إلى الملأ العلى بروحه وكيانه ، ومن يتلوه طالباً لمخارج الحروف وبيان اللغات وبلاغة الكلمات يجد روعة ما يقرأ .

ومن يريد قواعد وأسس للسياسة والاقتصاد والاجتماع وكافة المطالب يجد ويجد وسأذكر مجموعة من أقوال العلماء ومن جميع الفرق حيث اتفقوا جميعاً على أن القرآن معجزة الرسول ﷺ .

يقول د. الخطيب : " ومن هنا يكثر اتباع هذه الرسالة ، إذ هي الرسالة إلى كل إنسان ووحي إلى كل عقل لا يحصرها زمان ولا يجدها مكان "[٢] .

ثم يذكر ما قاله جردينبام في حضارة الإسلام :

(ويصبح الكفار مطالبين بمعجزة ويدَعون أنهم يشكون أن الله يختار رسولا له ، رجلاً مبسطاً في المركز الإجتماعي، ولم يجد محمد بداً من أن يحاول أن يقمع المتشككة بأن القرآن نفسه هو المعجزة التي تشهد بصدقه)[٣] .

ويؤكد هذا ما ذكره الباقلاني[٤] في كتابه حيث قال في فصل أن نبوة النبي ﷺ معجزاتها القرآن :

" الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن ، أن نبوة نبينا محمد ﷺ بنيت على هذه المعجزة وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة " .

ثم يقول : فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد ، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن إتيان بمثله[٥].

وأيد هذا بآيات من كتاب الله العزيز فذكر من الآيات ما يلي :

١) فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ﴾ [إبراهيم : ١]. فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة .

٢) وقال عز وجل : ﴿ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ﴾ [التوبة : ٦] فلولا أن سماعه إياه حجة عليهم لم يفق أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة[١].

ثم يبين أنه ما من سورة افتتحت بذكر الحروف المقطعة إلا وقد أشبع فيها بيان ما قلناه :

(لهذا يقول ابن كثير حينما يرجح رأى أن الحروف المقطعة أتت لإفحام المشركين وإثبات عجزهم عن الإتيان حتى بحروف هم يعرفونها فيقول لذلك فلا نجد سورة افتتحها الله بحروف مقطعة إلا وفيها إثبات لإعجاز القرآن)[٢].

واستدل الباقلاني ببعضها مثل سورة المؤمن ﴿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ [غافر:١، ٢] وبين ما جاء في السورة ثم قال فدل على الآية على ضربين :

---

[٢] د. عبد الكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، ١٠٢ .

[٣] المرجع السابق .

[٤] المرجع السابق .

[٥] الباقلاني : إعجاز القرآن ، ٨ ، ٩ .

[١] تفسير ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٧ ، الطبعة الثانية ، دار العلم ــ بيروت .

[٢] المرجع السابق .

أحدهما : كالمعجزات التي هي أدلة في دار التكليف .

الثاني : الآيات التي ينقطع عندها العذر ، ويقع عندها العلم الضروري وأنها إذا جاءت ارتفع التكليف ووجب الإهلاك ، وكذلك ذكر في " حم " السجدة على هذا المنهاج الذي شرحنا فقال عز وجل : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [فصلت : ٣-٦].

ثم قال بعد عرض السورة :(فبان بهذا ونظائره ما قلناه من أن بناء نبوته ﷺ على دلالة القرآن ومعجزاته صار له من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء لأنها لا تدل على نفسها إلا بأمر زائد عليها ووصف مضاف إليها لأن نظمها ليس معجزاً ، وإن كان ما تتضمنه من الأخبار عن الغيب معجزاً . والقرآن يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجزاً فيمكن أن يستدل به عليه وقل في هذا وجه محل سماع الكلام من القديم[٣] سبحانه وتعالى لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم في الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله .

---

(٣) القديم من الأسماء التي أطلقها المتكلمون على الله تعالى ولم يذكرها الله في كتابه ولا رسوله ﷺ ، ولكن معناها صحيح وهو معنى اسم (الأول) كما ذكر شيخ الإسلام فالأولى الوقوف عند النص الشرعي .

والذي نرومه الآن ما بيناه من اتفاقيهما في المعنى الذي وصفناه وهو أنه عليه السلام يعلم أن ما يسمعه كلام الله من جهة الاستدلال وكذلك عن تعلم ما نقرأه من هذا على جهة الاستدلال[1] .

يتبين مما سبق أن الله سبحانه وتعالى بعث هذا الرسول الكريم مؤيداً بمعجزة عظمى هي آية صدقه ودليل نبوته .

يقول ابن خلدون [2]

في مقدمته : " اعلم أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينهم وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم .

ثم يقول : " واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق " [3]

" فإن العاقل إذا علم بالمعجزة أو شاهدها تجري على يد النبي خارقة سنن الطبيعة وخواص المادة وهو يتحدى بها الثقلين تحدياً يثقل كواهلهم ويكشف عجزهم – علم يقيناً انها أعظم بكثير من نتاج قدرة الخلائق وانها لا محالة من رب العالمين خالق . السموات والأرض وأنه تعالى ما أجراها مع هذا النحو المثير المدهش المعجز إلا توثيقاً لرسالته وشهادة لنبيه .

فهي بمثابة قوله تعالى لعباده : صدق عبدي فيما يبلغ عني فآمنوا بي واتبعوه وآزروه [4] .

لقد تقرر إذا صدق ما بعث به النبي ﷺ من صدق معجزاته وقوتها ، وتأييد الله له ولما جاء به من القرآن الكريم .

" فما بعث الله رسولاً إلا وقد أيده بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة للناس والخارجة عن مقدور البشر ليكون إظهارها على يديه مع بشريته دليلاً على أنه مرسل من عند الله ، وما كان الله ليمد النوع الإنسان في طفولته بما يحفظ به حياته الروحية ثم يدعه بعد أن أخذ سبيله إلى النظر العقلي والاستقلال الفكري (يقصد العرب) دون أن يقيم له من الأدلة ما يتناسب والارتقاء الذي انتهى إليه ، فكان أن بعث محمداً ﷺ وأيده بالمعجزة العلمية والحجة العقلية وهو القرآن الكريم [5].

قال ابن رشد :" إن دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ ليست كدلالة انقلاب العصاحية ، ولا إحياء الموتى ، وإبراء المرضى فإن تلك إن كانت أفعالاً لا تظهر إلى على أيدي الأنبياء ، وفيها ما ينفع الجماهير من العامة ، إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة – المحمدية –، وأهداف الوحي ، ومعنى الشريعة . أما القرآن فدلالته على صفوة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء على الطب . ومثال ذلك : لو أن شخصين ادعيا الطب ، فقال احدهما : الدليل على

---

[1] انظر إعجاز القرآن للباقلاني ، ٩ ، ١٥ .

[2] ابن خلدون : هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون ، اشتهر بهذا نسبة إلى جده خالد بن عثمان وهو أول من دخل من هذه الأسرة بلاد الأندلس ، ترجع أسرته إلى أصل يماني حضرمي ونسبها يرجع إلى وائل بن حجر وهو صحابي معروف ، ولد بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ ، حفظ القرآن ودرس العلوم الشرعية من تفسير وحديث على المذهب المالكي واللغة والأدب ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات ، تعين في وظائف الديوانية ما بين ٧٥١ ، ٧٥٥هـ ، ثم عين قاضي قضاة المالكيين في مصر ما بين ٧٨٦ ــ ٧٨٧هـ ن ألف كتاب العبر وهو أول من كتب في علم الاجتماع في مقدمته – توفي عام ٨٠٨هـ في ٢٦ من رمضان عن ستة وسبعين عاماً (مقتطفات من كتاب عبقريات ابن خلدون للدكتور عبد الواحد وافي) دار عالم الكتب ــ القاهرة ــ مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ، ٤٠ ، ط١ ، مكتبة الفلاح الكويت ، والأعلام للزركلي ٣ / ٣٣ ، مكتبة الحرم .

[3] مقدمة ابن خلدون ٩١ . مكتبة مصطفى محمد – مصر .

[4] د. حسن ضياء الدين عتر : بينات المعجزة الخالدة ، ٧٧ ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، دار النصر سوريا ، حلب .

[5] انظر العقائد الإسلامية : للسيد سابق ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

أني طبيب أني أطير في الجو .

وقال الآخر : دليلي أني أشفى الأمراض وأذهب الأسقام لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعاً ، وعند الآخر مقنعاً فقط "[1].

---

[1] محمد الغزالي : عقيدة المسلم ٢٢٣ ، بدون ، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي – الدوحة – قطر .

المبحث الثالث :كيفية الدلالة على كون القرآن معجزاً

- تمهيد:

نتكلم في هذا المبحث عن ماهية الدلائل حتى نثبت عجز الثقلين عن الإتيان بمثله وبالتالي يثبت عندنا إعجازه وذكر كل ما لمسته ومن الدلائل على ذلك سواء كانت الدلائل خارجية أي خارجة عنه تتعلق بجهة إنزاله وظروف إنزاله وغير ذلك ، ودلائل داخلية أي ما دل على ذلك من آياته ومعانيه .

ولابد لمعرفة هذا من أصول :

الأصل الأول : أن يعلم أن القرآن الذي هو متلو محفوظ مرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي وتلاه ثلاثاً وعشرين سنة ، معارضاً بذلك أديان العصر ومخالفاً لاعتقاد القوم في الكفر ، وجعله عمدة من آمن مفروض عليهم في صلواتهم ، وحفظه الله خلفاً عن سلف فلن يشك أحداً في انه أتى بهذا القرآن من غير عند الله تعالى .

الأصل الثاني : ثم نقول انه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به والذي يدل على الأصل قوله تعالى : **چ ۋ ۋ ې ې ۋ ۋ ﯓ ﯓ ﯔ ﯔ ﯕ ﯕ ﯖ ﯖ ﯗ ﯗ ﯘ ﯘ ﯙ ﯙ ﯚ ﯚ ﯛ ﯛ ﯜ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ** □ □□ □ □ □ □ **چ**[البقرة:٢٣ ، ٢٤] . فعجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن دليل على أن هذا القرآن من عند الله الأحد .

الأصل الثالث : أن القرآن ثابت لأنه نقل بطريقة التواتر القطعي برغم ما ألقى عليه من شبهات كالسحر والاختلاق أو غير ذلك مما جعلهم متحيرين في أمرهم وهذا ادعى إلى التفرقة والعجز ودليل على نبوته وصدقه .

ثم قال ولم يوجد مثله ولو وجد لكان نقل إلينا كما نقلت إلينا أشعار الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء والكهان وأصل السجع والقصيد .

فهو معجزة وقد احتيج إلى التحدي لإقامة الحجة فإذا كان لابد لظهور المعجزة من التحدي وجب فيها التحدي لزوال الشبه عن الكحل ، حتى من كان منتهياً في معرفة جودة الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة ، فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه ، وغن لن نقل ذاك أدى هذا القول إلى أن يقال أن النبي ﷺ لم يعرف إعجاز القرآن حين أوحى الله حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه وهذا خطأ ، بل إن النبي عرف كونه معجزاً حين أوحى إليه . ومتى علم بعجز البليغ المتناهي في صنوف البلاغات علم عجز غيره عنه وانه كعجزه ، وتكون معرفته حجة عليه إذا تحدى إليه وعجز عن مثله وإن لم ينتظر وقوع التحدي في غيره وما لذي يصنع ذاك بالغير فلقد سمعه بعض ممن لم يسلم من العرب فأسلم كعمر بن الخطاب عندما سمع سورة طه . وإسلام جبير بن مطعم من آيات من سورة الطور وأبين من ذاك قوله تعالى : **چ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ چ** [التوبة : ٦] فجعل سماعه حجة عليه .

" يورد الباقلاني في إثبات إعجازه ودلائل إعجازه بعض الحجج على ذلك وردها بما لا يدع مجالاً للشك من التسليم والإذعان . ثم يقول رداً على من ادعى أن البعض قد عارض القرآن "[1] وبعد فليس يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مزق ما جمع واستحى لنفسه من إظهاره ، فإن كان كذلك فقد أصاب وأبصر القصد ولا يمتنع أن يشتبه عليه الحال في الابتداء ثم يلوح له رشده ويتبين له أمره وينكشف له عجزه

---

[1] ذكر انه ابن المقفع في كتابيه " الدرة ، والتلمية .

ولو كان بقى على اشتباه الحال عليه لم يخف علينا موضوع غفلته ولم يشتبه لدينا وجه شبهته[1]. وهذا كله مراد ما سبق من الفصول الثلاثة .

إن القرآن من عند الله وإن الثقلين يعجزون عن الإتيان بمثله وقد تحداهم وثبت عجزهم وإن هذا القرآن ثابت قطعي لا شك فيه كل ذلك من الدلالات على إعجازه.ويذكر أحد المؤلفين دلائل كون القرآن معجزاً فيقول :

١) بلاغته الفريدة في نظمه ولفظه وأسلوبه ومخالفته لمناهج العرب .

٢) احتوائه على كثير من قصص الأنبياء والرسل وإخبار الأمم السابقة وأحوالهم بصورة مطابقة لما جاء في كتب أهل الكتاب مع أن النبي ﷺ نشأ أمياً كما قال تعالى : ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [العنكبوت : ٤٨] .

٣) إخباره عن أمور المستقبلية وقد تحقق وقوعها ومن ذلك ما أخبر به القرآن عن دولة الروم المسيحية التي غلبتها دولة الفرس الوثنية أولاً ، ثم أخبر بأن الدولة المغلوبة تنتصر بعد بضع سنين : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [الروم : ١–٦] وإخباره تعالى بدخول نبيه ﷺ مكة والمسجد الحرام : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [الفتح : ٢٧] .

٤) تضمنه لعقائد يعرفها العرب من قبل مثل عقيدة التوحيد (الربوبية) والإيمان بالغيب والملائكة وغير ذلك من التشريعات ومكارم الأخلاق .

٥) احتوائه على آيات فيها حقائق علمية غاية في الأصالة والموضوعية فيما يتعلق بالكون والسماوات والأرض والنجوم والكواكب التي تجري في أفلاكها وتعاقب الليل والنهار مما جاء عن خلق الإنسان وتطوره حساً وعقلاً وروحاً، ثم ما ذكره عن النبات والحيوان والحشرات ، كما أن القرآن يتكلم عن السحب والأمطار والعواصف والجبال والبحار وغير ذلك . وكل ذلك لم يكن يعلم عن حقائقه شيئاً حتى جاء عصر النهضة العلمية [2] فتجدد اليقين بإعجاز القرآن رغم أنه ينبغي أن لا يتجاوز في إخضاع القرآن للمكشفات العلمية لأنها نظريات تتبدل والقرآن ثابت .

٦) إن القرآن وقد مضى على ظهوره نحو أربعة عشر قرناً وأكثر لم يظهر في نصوصه ولا معانيه أي خلل أو تناقض أو اضطراب أو قصور في كل ما شمل عليه من أمور ، ورغم محاولات أعداء الإسلام إيجاد ثغرات من الخطأ أو النقص ولكن كما قال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [النساء : ٨٢]. فما وجدوا غير الحق والعقائد القويمة و الهداية الشاملة[3].

وينحى الجرجاني في دلائل الإعجاز منحى بديعاً بأن يتحدث عن نظم الكلام وخضوع هذا النظم لقواعد مقررة اقتضاها وضع اللغة وجرى عليها المتعاملون بها على حسب ما تواضعوا عليه وتعارفوا[1].

---

[1] انظر الباقلاني : إعجاز القرآن ، ٢١ ، ٢٣ .

[2] محمد إسماعيل إبراهيم : القرآن وإعجازه العلمي ، ٢١ ن ٢٤ ، بدون دار الفكر العربي .

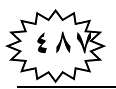
[3] المرجع السابق .

[1] الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، ٢٤٤ .

التحدي

أ- تحدي أهل مكة وعجزهم :

وكما بينا سابقاً أن القرآن تحدى العرب جمعياً أو الثقلين وثبت عجزهم على مر الدهور والأزمان لقد سطعت هذه المعجزة وملأ نورها الآفاق وبهرت قوة ضوئها وبيانها كل ذي لب فضلاً عن غيره . لقد شملت جميع مساحات العالم



وجميع مساحات كيان الإنسان فإذا المؤمن والكافر يشهدان بيانها وقوتها ومعجزتها ، إنها معجزة القرآن ومنذ أربعة عشر قرناً وأكثر أثبت الله هذا أمام من هم في البلاغة والفصاحة وأمام قريش أصحاب التجمعات السنوية والمباريات الشعرية والمعلقات القوية ، وإذا نحن بصدد التحدث عن هذا نؤكد هذه الحقيقة فيمتلئ القلب إيماناً والروح تحناناً والمشاعر يقيناً فالحمد لله أن من على هذه الأمة بمثل هذا الكتاب .

- **معنى التحدي :**

يقول ابن تيمية :" القرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة والمتحدي هو أن يحدوهم أي يدعوهم ويبعثهم إلى أن يعارضوه فبقال فيه حداني على هذا الأمر أي بعثني عليه ، ومنه " سمى حادي العيس " لأنه تحداه يبعثها على السير "(1). وكما نعلم أن الله سبحانه وتعالى تدرج مع المشركين في إثبات عجزهم عن الإتيان أولاً بمثل هذا القرآن .قال تعالى : **ﭽﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ**[الطور : ٣٣ ، ٣٤] .

أي " أم يقولون إن محمداً اختلق القرآن وافتراه من عند نفسه ، والتقول تكلف القول ، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر ، وتقول عليه أي كذب عليه ، ثم ألزمهم تعالى الحجة ، والدليل على قولهم فقال تعالى : **ﭽﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ**[الطور : ٣٤] أي فليأتوا بكلام مماثل للقرآن في نظمه وحسنه وبيانه ، إن كانوا صادقين في قولهم إن محمداً افتراه ، وهو تعجيز لهم مع التوبيخ(2). لما عجزوا وتحداهم بالإتيان بعشر سور منه . قال تعالى : **ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ**[هود : ١٣] .

يقول أحد المفسرين الأفاضل " يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالة على صحة نبوتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره إذا كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله وهذا القرآن جميع الخلق عجزت على أن يأتوا بمثله ، ويعني تعالى بقوله : **ﭽﮯ ﮰ ﮱﭼ** [يونس : ٣٨] أي يقولون افتراه ، فقل لهم : يأتوا بعشر سور من مثل هذا القرآن مفتريات ، مفتعلات مختلقات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى ، وليس بآية معجزة كسائر ما سألته من الآيات ، فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم " افتراه " وقد صحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به من عند الله "(1) .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه مبيناً عجزهم عن الاستجابة ومن ثم يثبت أنه معجز وأنه من عند الله قال تعالى : **ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ**[هود : ١٤] فقوله**ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭼ** أي في المعارضة ولم تتهيأ لهم فقد قامت الحجة ، إذ هم ألسن البلغاء ، وأصحاب الألسن الأعضاء : **ﭽﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ** واعلموا صدق محمد ﷺ ، واعلموا**ﭽﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ**استفهام معناه الأمر . وقال تعالى : **ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭼ**ولم يقل لك ، فقيل : هو على تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيماً وتفخيماً ، وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة(2)

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٤ / ٧١ ، دقائق التفسير ١ / ٤٤ ، ومختصر لوامع الأنوار البهية ــ شرح الدرة المضيئة في عقد وسواطع الأسرار الأثرية ت ن ١٤٠٣ ، ١٣٤هـ ، ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

(2) انظر صفوة التفاسير : لمحمد علي الصابوني ، ٣ / ٢٦٧ ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، مكتبة جدة .

(1) انظر تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ٧ / ٩ ، ١٠ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

(2) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٩ / ١٣ ، بدون .

ثم لما تبين عجز القوم عن ذلك تحداهم بالإتيان بسورة .

قال تعالى : **ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ** [البقرة : ٢٣] .

ويقول تعالى في سورة يونس : **ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ** [يونس : ٣٨] .

" أم هاهنا موضع ألف الاستفهام لأنها اتصلت بما قبلها ومعنى الكلام الاحتجاج فإن الآية الأولى دلت على كون القرآن من عند الله لأنه مصدق الذي بين يديه من الكتب وموافق لها من غير أن يتعلم محمد عليه السلام عند أحد"[٣].

يقول أحد العلماء :" أم يقول هؤلاء المشركون ك افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله ، قل يا محمد لهم : إن كان كما تقولون إني اختلقته وافتريته، فإنكم مثلي من العرب ، ولساني وكلامي مثل لسانكم ، فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن ، والهاء في قوله " مثله " كناية عن القرآن ، والصواب من القول في ذلك عندي أن السورة إنما هي سورة من القرآن وهي القرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن ، فقيل لهم : **ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ** [البقرة : ٢٣] ولم يقل مثلها ، لأن الكناية أخرجت المعنى ، أعني معنى السورة ، لا على لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل : فأتوا بسورة مثلها " [٤].

وقيل أن السورة قد تطلق على ثلاث آيات كسورة الكوثر ، ومع ذلك عجز العرب . وبعد أن بينا واستعرضنا الآيات التي تدرج فيها الله سبحانه وتعالى في تحدي المشركين وإثبات عجزهم ، وهذا فيه من بيان العجز والضعف البشري ما فيه إذ أنه أبلغ من التحدي مباشرة بسورة واحدة ، وبينا أقوال المفسرين ووضحنا الآيات ، نؤيد هذا بما قاله العلماء البررة في هذا الموضوع .

---

[٣] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٨ / ٣٤٤ .

[٤] انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٧ / ١١٧ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

- **إثبات العجز :**

يقول صاحب البرهان " فقد أثبت أنه تحداهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه ، لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا " سحر " ، وتارة قالوا " شعر " ، وتارة قالوا : " أساطير الأولين " ، كل ذلك من التحير والانقطاع ".

ثم يذكر قول مكي بن أبي طالب[1] :"أنزله للبيان عربي مبين بضروب من النظم مختلفة على عادات العرب ، ولكن الإعصار تتغير وتطول فيتغير النظم عن المتأخرين لقصور إفهامهم ، والنظر كله جاز على لغة العرب ولا يجوز أن ينزله على نظم ليس من لسانهم لأنه لا يكون حجة عليهم ، بدليل قوله تعالى:چ ۓ ﮔ ﮕﮖ ﮗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ چ[يونس : ٣٨] .وفي قوله تعالى – بعد ذلك في سورة يونس – : چ ﯜ ﯝ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﯧ ﯨ ﯩﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ چ[يونس : ٣٩].فأخبر أنهم لم يعلموه لجهلهم به وهو كلام عربي "[2].

لقد أثبت موضوع التحدي وما يترتب عليه من عجز قوة هذه المعجزة أو الآية العقلية وازدياد سطوعها مهما طال الزمان أو قصر ، وضعف أصحاب البلاغة والفصاحة من قريش وغيرهم ينم عن ضعف غيرهم من باب أولى .

يقول السيوطي :

" ولما جاء به النبي ﷺ – يعني القرآن – إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء ، وتحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا (بمثله ، بعشر سور ، بسورة مثله) فلما عجزوا عم معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء ، نادى عليهم بإظهار العجز ، وإعجاز القرآن فقال : چ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ چ[الإسراء : ٨٨] فهذا وهم الفصحاء واللدد وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره ، فلو كان في مقدورهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة ، ولم ينقل عن احد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه ، بل عدلوا إلى الضد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى ، ثم رضوا تحكم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم ، وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية ، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدراتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم [3].

هذا ولقد شهدوا أنفسهم بروعة القرآن ، وجزالته ، وقوة بيانه ، إذ كانوا يتخفون ليلاً لسماع القرآن حتى لا يرى بعضهم بعضاً ، وكان أحدهم [4] يعترف أمام قومه " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته " كل ذلك شواهد وأدلة على إعجاز هذا القرآن ، وأن الله جعله آية للعالمين على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

- **سر الإعجاز :**

---

[1] مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيس ، يكنى أبا محمد ، أصله من القيروان ، وسكن قرطبة ، رحل إلى مصر مرتين واستكمل بها علومه ، توفي سنة ٤٣٧هـ ، (البرهان ٢ ، ٩٢)

[2] انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ٢ / ٩٢ .

[3] انظر السيوطي في إتقانه ، ٢ / ١٥٠ .

[4] وهو الوليد بن المغيرة .

إن عمليه الصراع النفسي الذي عانت منه قريش فحداها هذا الأمر إلى إعجاز كبريائها على محمد ﷺ ودعوته من خلال التكلم في القرآن ، ما كان ليسمن ولا يغنى من جوع . وإنها قوة الحق حينما تتغلغل في أرض الباطل وقلبه فتدحره دحراً ، وكل هذا ما كان لينقص من قدر القرآن ومن غاية ما جاء به ، ومن حقيقة ما يلاقونه تجاهه ، إنه الفجر فعلاً ، والإعجاز حقاً ، يشهد بهذا ما يلي :

١) **الأمر الأول** : إعجابهم بعلوه ، عن أن يصل إليه أحد ، وكل من سولت له نفسه بالنيل منه أتصف بالحماقة في محاولته وفي نتائج هذه المحاولة ، ويكفي ما قاله المغيرة من اعترافه بروعته وجزالة ألفاظه ، وروعة بيانه ، فما أنكروا عليه حكمه على القرآن الذي سمعه ، ولكن أنكروا عليه أنه تحت تأثير هذا ترك جماعتهم .

٢) **الأمر الثاني** : انجذابهم إليه رغم شركهم ومعارضتهم ، ومحاولة سماعه خفية ، ثم تواصلوا ألا يسمعوه لما له من أثر في نفوسهم ، وذهب الذين تواصوا كل على حدة خفية أن يراه صاحبه .

٣) **الأمر الثالث** : أن أشدهم عناداً كان أقربهم إيماناً إذا قرأ القرآن صغى قلبه واستجاب ، كما حدث لبي ذر الغفاري آمن عند سماعه وكذلك أخوه انس وجبير ابن مطعم[١].

كل ذلك عبر من العبر ، وفجر يثبت صفوة وروعته ، ولكل من تسول له نفسه درس لقوة بلاغته . فمن يبلغ شأن العرب اليوم ، ومن ينحو نحوهم في بلاغتهم وشعرهم ، " لقد بالغوا في تهذيب اللغة ودقة الحس البياني حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلاً واحداً باجتماعهم على بلاغة الكلمة ، وفصاحة المنطق ، ولم يظهروا هذا الأمر في امة ظهوره في جاهلية العرب الأولى قبل الإسلام وفي جاهليتهم الثانية من بعده،حتى استفحل أمر الفرق الإسلامية ، واستمر الجدال بينهم ، فأفسدوا عقولهم وأسقطوا مروءتهم ، فجاء القرآن الكريم أفصح كلام وأبلغه لفظاً وأسلوباً ومعنى ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقودة الألسنة يومئذ وهو لا ينتهي إلى هذه الوحدة ولا يستولي عليها ، إذ كان أقوى منها فيما هي قوية به بحيث يشعر أهلها بالعجز والضعف والاضطراب شعوراً لا صلة فيه للخديعة والتلبيس على النفس والتغريب بين الشك واليقين [٢]

وتتفتق التهم الباطلة عن نفوس دنيئة تحاول أن تقف أمام الحق الثابت الراسخ ، فمنهم من ادعى النبوة وجعل ما يلقيه من ذلك قرآناً كيلا يكون صنعته بلا أداة ، ومنهم من تعاطى القرآن صناعته وظن أنه قادر عليها يصنع لسانه منها حيث شاء ، تعرض لك من حجر الوحش في جانب البر الواسع ثم تغيب وتسفى الريح على آثارها ، فمن أولئك، مسيلمة بن حبيب الكذاب ، وطليحة الأسدي ، وسجاح بنت الحارث ، والنضرين الحارث وغيرهم ، وكلهم كالرماد ، وقف أمام الريح فنثرهم نثراً ، بل وأضحك الناس عليهم وجعلهم الله عبرة للمعتبرين [٣] .

وهذا التحدي كله كان بمكة لأن سورة يونس ، وهود ، والطور من المكي[٤].

ت) تحدي أهل المدينة وعجزهم :

---

[١] انظر المعجزة الكبرى ، محمد ابو زهرة ، ٧٢ ، ٧٤ ، بدون ، دار الفكر العربي .

[٢] انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ١٦٦ ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

[٣] انظر المرجع السابق ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

[٤] محمد النجار ، مختصر لوامع الأنوار البهية ، ١٣٢ .

وكما تحدى القرآن أهل مكة ، عرب قريش ، كرر التحدي بعد الهجرة في المدينة في آية التحدي المدنية في سورة البقرة .

يقول حجة الأمة ابن تيمية :

" ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة ، فقال تعالى : **ﭽ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ﭼ**[البقرة : ٢٣] [1]"فأتوا " الفاء جواب الشرط وهو أمر معناه التعجيز ، فتحداهم بأن يأتوا بسورة من سوره ، والسورة الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص ، سميت بذلك لأنها مشتملة على كلماتها ، كاشتمال سور البلد عليها[2]. " والضمير في " مثله " عائد على القرآن عند الجمهور من العلماء وقيل يعود على التوراة والإنجيل ، فالمعنى : فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه ،وقيل يعود على النبي ﷺ ، المعنى : من بشر أمي مثله لا يكتب ولا يقرأ "[3].

ذكر ابن تيمية في هذه الآية أمرين :

أحدهما : قوله تعالى – بعدها : **ﭽ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی** □ □ □ □ □ □ □ □ **ﭼ**[البقرة : ٢٤] يقول : إذ لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه فيحق بكم العذاب الذي وعد به المكذبين ، هذا دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة ، وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

والثاني : قوله : **ﭽ ئى ئى ﭼ**(ولن) لنفي المستقبل ، فثبت الخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله ، كما أخبر قبل ذلك وأمره أن يقول في " سورة سبحان " وهي سورة مكية أفتتحها بذكر الإسراء ، وهو كان بمكة بنص القرآن والخبر المتواتر ، وذكر فيها من مخاطبة للكفار بمكة مابين ذلك بقوله : **ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ**[الإسراء:٨٨] [4] لقد توفر في العرب الذين أرادوا معارضة القرآن الكريم كما يلي :

١- ألسنتهم وفصاحتهم وبلاغتهم عن كل ما عداهم .

٢- حرصهم الشديد على معارضة القرآن وإبطاله ودحضه ، وكما نعلم أن المريض يفتعل الأسباب ، ويسلك الصعاب ، ويطرق ما جمد من الأبواب ، حتى يصل إلى مآربه ، فهو أكثر همة من غيره .

" وكان الكفار أحرص الناس على إبطاله قوله مجتهدين بكل طريق يمكن ، تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور الغيب حتى يسألوه عنها كما سألوه عن قصة يوسف ، وأهل الكهف ، وذي القرنين ، وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه وصاروا يضربون له الأمثال فيشبهونه بما ليس بمثله لمجرد شبه ما ، مع ظهور الفرق ... فتارة مجنون ، وتارة ساحر ، فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه مع وجود الداعي التام المؤكد ، إذ كانت القدرة حاصلة وجب وجود المقدور ثم هكذا القول فسائر أهل الأرض ، فهذا القدر يوجب علماً بيناً بكل أحد ، بعجز عن جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا

---

[1] ابن تيمية ، دقائق التفسير ، ١٤٥ .

[2] انظر الفتح القدير للشوكاني ، ١ / ٥٢ ، بدون ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

[3] انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، ١ / ٢٣٢ .

[4] ابن تيمية ، دقائق التفسير ، ١ / ١٤٥ ، ١٤٦ .

القرآن وبغير حيلة ، وهذا أبلغ من الآيات التي يكررها جنسها كإحياء الموتى ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره[١] .

هل الإعجاز متماد أم قد ارتفع بتمام الحجة في حياة الرسول ﷺ ؟ :

" قال بعض أهل الكلام أن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ، ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التي قد صحت ، كما أن عصا موسى قد قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت كذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت ، وكذلك سائر الآيات .

وقال جمهور أهل الإسلام : " إن الإعجاز باقٍ إلى يوم القيامة والآية بذلك باقية أبداً كما كانت [٢] " وهذا كله واضح جلي يؤيد كل مؤمن ، فصح وجود الفرق بين معجزات موسى الحسية ، ومعجزة القرآن العالمية العقلية ، إلا أن ثبوت عجز العالمين أبداً قائم حتماً لعموم الآيات ، وورود الأحاديث بذلك ، وبقاء إعجاز القرآن دلالة واضحة على ختم النبوة بالرسالة المحمدية والله تعالى أعلى وأعز وأعلم .

* * * * *

خاتمة البحث

---

[١] انظر دقائق التفسير ، ١ / ١٤٦ ، ١٤٧ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤ / ٧٣ ، ٧٤ ، للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية . وانظر مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للشيخ محمد بن سلوم ١٣١ ، ١٣٢ ، تحقيق وضبط محمد النجار ، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

[٢] ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٢ / ١٦ .



وفي نهاية المطاف أحمد الله تعالى على إتمام هذا البحث مع ما في طبائعنا من التقصير البشرى ، فسبحان من قدر فهدى ، ومن أكرم وأعطى .

ومن خلال صفحات هذا البحث نتبين أن المعجزة من الآيات الدالة على صدق النبوة ، وصدق صاحبها ، وهي إذا ما وقر اليقين بها القلب ارتفع صاحبها إلى إيمان عالي ، وتترجم هذا اليقين إلى واقع يعمل به ، ويؤمن له ،فإذا حياتنا قائمة على التصديق بالرسالة ، والإقرار بالنبوة ، محكمتين إلى شرع الله سبحانه المتمثل في كتاب الله الكريم ، هذه المعجزة الخالدة ، التي عم نورها العالم ، فإذا هي حياة القلوب ، ودواء الجروح وسنة نبيه محمد ﷺ

قال تعالى : ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ[الأنعام : ١٢٢] .

- **ومن فوائد هذه الرسالة أو هذا البحث** :

٥) زيادة اليقين بقدرة الله تعالى ، وعلمه بكل شيء .

٦) وبالتالي زيادة الإيمان ، وعلو الإحسان ، إلى ذي الفضل والامتنان .

٧) الولاء التام للمؤمنين .

٨) إخلاص المحبة لرسول الله ﷺ ، وحب ما جاء به .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

* * * * *

المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إبراهيم ، محمد إسماعيل ، القرآن وإعجازه العلمي . دار الفكر العربي .

٣- البغدادي ، أبو بكر احمد . تاريخ بغداد .

٤- الأشقر ، عمر سليمان . الرسل والرسالات، ط :٢- ١٤٠٣هـ . مكتبة دار الفلاح – الكويت .

٥- الأشقر ، عمر سليمان . مقاصد المكلفين . ط:١- مكتبة الفلاح . الكويت .

٦- الآمدي ، سيف الدين . غاية المرام في علم الكلام . تحقيق حسن محمود عبد اللطيف . القاهرة ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

٧- الإيجي ، عضد الدين . الموقف في علم الكلام .

٨- الباقلاني ، أبو بكر محمد . إعجاز القرآن . تحقيق السيد أحمد صقر .
الطبعة الثالثة . دار المعارف بمصر .

٩- بركات : عبد الفتاح دويدار . مذكرات المنطق –١٤٠٩هـ .

١٠- بركة ، عبد الفتاح. شرح السنوسية الكبرى للإمام إسحاق عبد الله السنوسي ط: ١-١٤٠٢هـ. دار القلم . الكويت .

١١- البرسوي ، إسماعيل . تنوير الأذهان من تفسير روح البيان . اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابوي . ط:١-١٤٠٨هـ . دار القلم – دمشق .

١٢- البغدادي ، أبو منصور . أصول الدين . ط: ٣-١٤٠١هـ . دار الكتب العلمية .

١٣- البغدادي زين الدين أبو الفضل . طرح الترتيب في شرح التقريب . دار إحياء التراث العربي .

١٤- التفتازاني ، مسعود بن عمر بن عبد الله . حواشي العقائد . فرج الله زكي الكردي . مطبعة العلمية . مصر .

١٥- ابن تيمية ، أحمد ، درء تعارض العقل والنقل . وتحقيق محمد رشاد سالم . ط:٣-١٣٩٩هـ . مطبعة الإمام محمد بن سعود .

١٦- ابن تيمية ، أحمد ، الصفدية ، تحقيق محمد رشاد سالم . ط:٢-١٤٠٦هـ .

١٧- ابن تيمية ، أحمد ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . مطابع المجد التجارية .

١٨. ابن تيمية ، أحمد ، دقائق التفسير ، جمع وتحقيق : محمد السيد . ط:١. دار الأنصار .

١٩. ابن تيمية ، أحمد ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد الحنبلي وابنه محمد . الرياض .

٢٠. ابن تيمية ، أحمد ، شرح العقيدة الأصفهانية . دار الكتب الحديثة مصر.

٢١. الجرجاني ، الشريف . حاشية على شرح المواقف . دار الطباعة العامرة .

٢٢. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . صفة الصفوة . تحقيق : محمود فاضوري . ط:٤-١٤٠٦هـ . دار المعرفة – بيروت .

٢٣. الجوهري ، إسماعيل . الصحاح . ط:٢٠١٣٩٩هـ . دار العلم للملايين – بيروت .

٢٤. الجويني ، عبد الملك . الإرشاد إلى قاطع الأدلة في أصول الاعتقاد . تحقيق أسعد تميم . ط:١مؤسسة الثقافة الإسلامية .

٢٥. الجويني ، عبد الملك . العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية . تعليق وتحقيق : د. أحمد السقا . ط:١-١٣٩٨هـ . مطبعة دار الشباب بالعباسية . مصر .

٢٦. ابن حجر ، أحمد بن علي . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار الفكر للطباعة والنشر.
٢٧. ابن حجر ، أحمد بن علي . تهذيب التهذيب . دار الفكر للطباعة والنشر.
٢٨. ابن حزم ، علي بن أحمد . الفصل في الملل والأهواء والنحل . ط: ط:٢-١٣٩٥هـ دار المعرفة — بيروت .
٢٩. الحميضي ، عبد الرحمن . خوارق العادات في القرآن الكريم . ط:١-١٤٠٢هـ . دار عكاظ للنشر والتوزيع .
٣٠. ابن حنبل ، أحمد. المسند . ط:٤-١٤٠٣هـ . المكتب الإسلامي — بيروت .
٣١. الخطيب ، عبد الكريم . الإعجاز في دراسات السابقين . ط:٢. دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
٣٢. ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة . مطبعة مصطفى محمد — مصر .
٣٣. ابن خلكان . وفيات الأعيان . دار إحاء التراث العربي .
٣٤. خليف ، فتح الله . ابن سينا ومذهبه في النفس .دار الأحد — بيروت .
٣٥. الدخيلي ، محمد . الإمام الجويني . ط:١ . دار القلم — بيروت .
٣٦. الذهبي ، محمد بن أحمد . ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق : علي محمد البيجاوي . دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت .
٣٧. الذهبي ، محمد حسين . الوحي والقرآن الكريم . ط . مكتبة وهبة .
٣٨. الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح .١٤٠٤هـ . مؤسسة علوم القرآن — دمشق .
٣٩. الرازي ، محمد بن عمر . الأربعين في أصول الدين . ط:١ لامكنبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد سنة ١٣٥٣هـ . مكتبة الحرم المكي .
٤٠. الرافعي ، مصطفى صادق . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .ط:٢٩ . دار الكتاب العربي — بيروت .
٤١. ابن رشد ، محمد بن أحمد . تهافت التهافت . تحقيق:د . سليمان دنيا .ط: ٢ . دار المعارف — مصر.
٤٢. الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل في علوم القرآن . دار إحياء التراث .
٤٣. الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ز تحقيق : محمد أبو الفضل ط:٢. ١٣٩١هـ .
٤٤. الزركلي ، خير الدين . أعلام .
٤٥. زغلول ، محمد السعيد بن بسيوني . فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل . ط:١-١٤٠٥هـ. دار الكتب العلمية — بيروت .
٤٦. أبو زهرة ، محمد . المعجزة الكبرى . دار الفكر العربي .
٤٧. سابق ، السيد . العقائد الإسلامية . ١٣٩٨هـ دار الفكر — بيروت .
٤٨- السائح ، عبد الحميد . عقيدة المسلم وما يتصل بها .ط: ١-١٣٩٨هـ مطابع وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية — عمان .
٤٩- السلمان ، عبد العزيز . الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . ط: ١٢-١٤٠٣هـ .
٥٠- ابن سلوم ، محمد . مختصر لوامع الأنوار البهية . تحقيق : محمد النجار — ١٤٠٣هـ . دار الكتب العلمية — بيروت .
٥١- ابن سينا ، الحسين بن عبد الله . حي بن يقظان . دار المعارف للطباعة والنشر .
٥٢- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . الاتقان في علوم القرآن .

٥٣- السيوطي ، عبد الرحمن . طبقات الحفاظ . ط:١- ١٤٠٣هـ . دار الكتب العلمية – بيروت .

٥٤- شيبوي ، محمد شبلي . مقارنة الأديان والقرآن . ط: ١- مكتبة الفلاح الكويت .

٥٥- الشعراني ، عبد الوهاب . اليواقيت والجواهر . الطبعة الأخيرة . ١٣٧٨هـ . مطبعة البابي الحلبي – مصر .

٥٦- الشنقيطي ، محمد الأمين . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . عالم الكتب – بيروت .

٥٧- الشوكاني ، محمد فتح القدير . دار المعرفة للطباعة والنشر .

٥٨- الشهرستاني . نهاية الأقدام في علم الكلام . تصحيح ألفرد جيوم . مكتبة المثنى – بغداد .

٥٩- الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ط: ٥ – ١٤٠٦هـ دار القلم – بيروت .

٦٠- الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن . ط:,٤ دار العلم للملايين بيروت .

٦١- الصفدي ، الوافي بالوفيات . ط: ٢- ١٣٩٤هـ نشر دار فرانز شتايرز – بفيبادن .

٦٢- الطبري ، محمد ابن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م . دار الفكر .

٦٣- عبد الباقي . محمد فؤاد . المعجم المفهرس للألفاظ القرآن .ط:٢ – ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م . دار الفكر .

٦٤- عبد الجبار ، بن أحمد . شرح الأصول الخمسة . تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم . حققه وقدم له د . عبد الكريم عثمان .ط: ١ . ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م . مكتبة وهبة الجمهورية .

٦٥- عبد الجبار ، بن أحمد . المغني في أبواب العدل والتوحيد . تحقيق : د. محمود الخضري . ومحمود محمد القاسم ١٣٨٥هـ –١٩٦٥م . مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٦٦- العثيم ، عبد العزيز . المعجزات النبوية عند البخاري ومسلم . (رسالة ماجستير).

٦٧- عبده ، محمد . رسالة التوحيد . ط: ١- ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م دار إحياء العلوم . بيروت .

٦٨- عنتر ، حسن ضياء الدين . بينات المعجزة الخالدة . دار النصر . سوريا – حلب .

٦٩- الغامدي ، أحمد بن عطية . البيهقي وموقفه من الإلهيات . (رسالة ماجستير) .

٧٠- الغزالي ، محمد . عقيدة المسلم . دار إحياء التراث الإسلامي . الدوحة – قطر .

٧١- فرغل ، يحيى . الأسس لبناء العقيدة الإسلامية . دار الفكر العربي مطبعة دار القرآن – مصر .

٧٢- الفيروز أبادي . القاموس المحيط . الطبعة الهندية . ط: ٢ – ١٣٤٤هـ . المطبعة الحسينية – مصر .

٧٣- القرطبي ، محمد الأنصاري . الجامع لأحكام القرآن . تصحيح : أحمد عبد العيم البردوني . ط : ٢ .

٧٤- قطب ، سيد . في ظلال القرآن . ط: ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م . دار الشروق.

٧٥- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى . دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان .

٧٦- ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن . طبعة جديدة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، مكتبة المعارف . الرياض .

٧٧- ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين . ط: ١- ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م . بيروت – لبنان .

٧٨- ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . متصر المرسلة على الجهمية والمعطلة . اختصار الموصلي . دار الندوة – بيروت .

٧٩- ابن كثير ، إسماعيل بن عمرو . البداية والنهاية . ط: . دار الكتب العلمية — بيروت .

٨٠- ابن كثير ، إسماعيل بن عمرو . تفسير لابن كثير . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار الفكر بيروت — لبنان .

٨١- الكلنبوي ، إسماعيل . حاشية على شرح جلال الدين الدوائي الصديقي .

١٩١٣ . خورشيد مطبعة سي .

٨٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث . لجماعة من المستشرقين .

٨٣- مدكور ، إبراهيم . في الفلسفة الإسلامية .ط:٢ ز دار المعارف بمصر.

٨٤- المراغي،عبد الله مصطفى . الفتح المبين في طبقات الأصوليين . ط:,٢ دار الكتب العلمية . بيروت — لبنان .

٨٥- مسلم ، بن الحجاج مسلم . صحيح مسلم بشرح النووي . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . دار الفكر العربي للطباعة والنشر .

٨٦- مسلم ، مصطفى . مباحث في إعجاز القرآن .

٨٧- النسفي ، أبي حفص . العقائد النسفية . بدون تاريخ . مكتبة المثنى — بغداد .

٨٨- النشار ، على . نشأة الفكر الفسلفي في الإسلام ط: ٧ — ١٩٧٨هـ . دار المعارف — القاهرة .

٨٩- هراس ، محمد خليل ، ابن تيمية السلفي . ط: ١ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م ، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان .

* * *

فهرس الموضوعات

